الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الصورة الفنية في القصة القرآنية قصة مريم -أنموذجا-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالب(ة):
*- **ليلى باركي**

إشراف الأستاذ :
بن سخري الزبير

السنة الجامعية: **2014/2013**

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قـــــال ربـــــــي:"لئـــن شكـرتم لأزيدنـكـم"

فاللهم اجعلني شكوراً ، واجعلـني صبوراً،واجعلني فـي عيـني صغـيرا ،

وفـي أعـين الناس كبيـــرا .

الحمد لله الذي رزقني من العلم ما لم أعلم،و قدرني على إتمام هذا العمل المتواضع ،و الصلاة و السلام على رسولنا و حبيـبنا وقـــرة أعيـــننا وبعـــد :

يطيب لي في هذا المقام أن أتقدم بجزيل الشكر و العرفان إلى أستاذي الفاضل الذي أشرف على إتمام هذا البحث:"بن سخري الزبير" فاللهم إرفعه إلى أعلى المنازل.

و أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.

إلى من أرى التفاؤل في عينيه .... و الأمل في ابتسامته إلى من رافق دربي طيلة المشوار الجامعي فلم يبخل علياً بالنصيحة والإرشاد فاللهم ثبته على أخلاقه الفاضلة و تواضعه الدائم إلى السيد: "مفدي قردون"

إلـى كل أساتـذتي فمـن علمـني حرفاً صـرت له عبـدا

لـيـــلـــى

الإهداء:

إلى أعطر عطور أحلامي إلى أحن همسات أنغامي، إلى أروع سحر في أيامي، إلى ملاك أحلامي،إلى أروع صورة فتحت عليها عيناي ،إلى أعذب صوت سمعته أذناي،إلى التي سهرت عينها لتنام عيني،إلى من تعب جسدها ليرتاح جسدي،إلى التي سقت طموحاتي ووقعت كل نجاحاتي،إلى من أوصاني بها ربي و نصحني بصحبتها رسولي" ص" أمي ثم أمي ثم أمي" فاطمة الزهراء" أتمنى من الله أن يشفيك ولا يحرمني من رؤيتك.

إلى النجم الساري في سما أفقي ...إلى الذي سكن أعماقي...إلى من تعب وشقى إلى من وعد و أوفى إلى من أحمل اسمه بكل افتخار اليك أبي الحبيب "قدور" أطـــــال الله فـــــي عمـــــرك.

إلى شمعة أنارت ظلمة حياتي، إلى دفئ البيت و سعادته،إلى سندي و قوتي إخوتي "جلال" و "نـــــور الـــــدين"

إلـــــى زهرة النـــــرجس التـــــي تفـــــيض حـــــباً و عطـــــرا إلـــــى منـــــبع إبتســـــامتي المـــــدللة "سلـــــــــــــــــــــمى"

إلـــــى أمـــــي الثانـــــية عمتـــــي الوحيـــــــدة " جميدة" و إلى خالي "عمار"

إلى صاحبة القلب الطيب و النوايا الصادقة الغالية على قلبي زوجة عمي "فتيـــــحة"

رفقتكن أسعدتني وحبكن غمرني صـــــديقاتـــــي:ندى، سعاد،حليمة،سارة،رزيقـــــة،نـــــورة،جمـــــيلة.

إلـــــــــى قـــــــرة عيـــــن عمتـــــــي الوحيـــــــد " ناجي"

إلـــــى مـــــن أحبـــــهم قلبـــــي و نسيـــــهم قلمـــــي

ليلى

مقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه و عظيم سلطانه ، أن بعث فينا رسولاً منا يدعو إلى دين الحق و صراط العزيز الحميد و الصلاة و السلام على خير الأولين و الآخرين محمد بن عبد الله الأمي الهاشمي القرشي و على آله و صحبه و من والاه إلى يوم الدين.

وبعد : لا شك أن أي مبحث من مباحث القرآن الكريم، هو مسعى مشرف و غاية رفيعة، تستمد من عظمة و قداسة هذا الكتاب الرّباني المعجز، فلقد أودع المولى عز وجل في كتابه أسرار البيان، وجعله علماً على معالم الهدى، ورسالة خالدة على مرّ الزمان، وبتعاقب الأجيال إلى يوم الدين.

فهو الذي لم تنته الجن إذا سمعته قالوا: ﴿ **إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ** ﴾ فهو حبل الله المتين، ونوره المبين الذي لا يعوّج فيقوّم ،ولا تنقضي عجائبه أبد الأبد و منتهى العدد بلا أمد،فلم ينل أي كتاب في الوجود عناية مثله، فمنذ أن أنزل المولى عز وجل القرآن الكريم على الحبيب المصطفى صلى الله عليه و سلم إلى يومنا هذا و الدراسات القرآنية لم تنقطع،بحثا و تأليفاً، بغية الوصول إلى إنجاز يشفي غليلهم و بظهور المناهج الحديثة في عصرنا الحالي تنوعت الدراسات الحديثة و تعددت بل و أصبحت أكثر تخصصاً من ذي قبل، و إن البحث في الكتاب الحكيم متشعب الأطراف، على اختلاف أفهام العلماء و مشاربهم و مذاهبهم، فلقد نظر فيه المفسر،وتأمل فيه الفقيه، واحتج به النحوي،ونهل منه البلاغي،فكل واحد وجد فيه بغيته،والقرآن الكريم متعدد المعاني بتعدد الأيام ،و هذا من دلائل إعجازه الذي بهر العالمين.فلقد ذكرّ العاقل، وعلّم الجاهل وقوّم المائل، وأخرج الناس من حياة الأنعام إلى حياة الكرام، حتى أصبح كلّ من يقرأ القرآن، ويتذوقه يسمو و يرتقي قولا وفعلاً ، ومتى كان البحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه ، عمل لا تنضب مادته ولا يقل زاده ، وجهد لا تضيع مساعيه ولا يخيب رجاء من خاض فيه ، ومن هنا كان المنطلق على اختيار هذا الموضوع الذي يتعلق بالدراسات القرآنية في جانبها الجمالي ، باعتبار أن تدوق الجمال في النسق القرآني بما

يقدم من صور تتيح للنفس فرصة السمو بالمشاعر والأفكار إلى قداسة الرسالة النبيلة للقرآن كما أنني أردت لهذا البحث البسيط أن يكون لمسة جمالية في القصة القرآنية بشكل خاص، لما حوته من إعجاز البناء و سمو الغاية.

ولقد عنونت هذا الاختيار بـــ: الصورة الفنية في القصة القرآنية قصة مريم–أنموذجا– "

و من المألوف أن الصورة أو الشكل أو الصياغة في الكلام تكاد تكون هي الجوهر و إن كانت الصورة لا تنحصر على البعد الجمالي إنما هي أيضا ذات قيمة عاطفية و معرفية، و يمكن أن تكون لها وظائف أخرى.

ولا شك أنني واجهت صعوبات، ككل باحث في المجال العلمي،خاصة و أنا أمام هذا الدستور العظيم المطلق ببيانه و إعجازه و جماله وأنا بإدراكي النسبي و فهمي القاصر بالإضافة إلى تعدد و تفرق معاني الصورة في كتب الإعجاز و التفسير ما صعّب في إيجاد مفهوم دقيق و محدد لها.

أما طبيعة الدراسة فهي دراسة جمالية.كما أنني اعتمدت على عدد من المصادر و المراجع التي اسهمت في اثراء بحثي و أهمها كتب الإعجاز القرآني :دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، و في ظلال القرآن لسيد قطب و غيرها.

هذا وقد تضمن هذا البحث فصلين، تعرضت في الفصل الأول إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول تحدث عن مفهوم الصورة الفنية في اللغة و في الاصطلاح عند النقاد و البلاغيين القدامى و المحدثين، و المبحث الثاني فيتناول خصائص الصورة الفنية و مظاهرها و تناول كذلك الوجه النفسي للصورة الفنية و ذلك من خلال التشبيه و الكناية والاستعارة و صورة الكلمة أما المبحث الثالث، فتضمن أنواع التصوير الفني في القصة القرآنية و أهداف التصوير الفني و كذلك أهمية التصوير الفني.أما الفصل الثاني، فتناول ملامح التصوير الفني في قصة مريم .

و قد أنهيت بحثي هذا بخاتمة تحمل أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث.

و في مسك الختام أتقدم بخالص العرفان وأسمى عبارات التقدير لأستاذي المشرف :"بن سخري الزبير" و ذلك لما تفضل به علي من دعم و توجيه،فلم يبخل عليّ بوقته و علمه و نصحه،فله مني فائق الشكر و إن شاء الله طيب الجزاء.

ولا يسعني إلاّ القول إن هذا البحث هو محاولة متواضعة في أعظم و أقدس كتاب ، و لا أملك سوى أن أتوجه إلى الله بالدعاء أن يتجاوز عن هفواتي، و إن وفقت إلى شيء ف.....﴿ ما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت و إليه أنيب﴾.

مدخل

على الرغم من كثرة الدراسات حول القصة القرآنية من الوجهة الفنية، وإقرار العديد من النقاد بوجودها الفني إلى الجانب الوعظي، إلا أننا نجد البعض ينكر أن قصص القرآن فنية.

كما أن فهم ما تعنيه لفظة الفن اِلتبست على البعض الآخر ويجدر بنا قبل التعرض لهذه الآراء محاولة فهم واستيعاب كلمة الفن في الأدب.

إن كلمة الفن تطلق عادة على "الحذق أو المهارة التي يبلغ بها المرء مقصده بعد تدبر وتمعن" [1]، وبذلك تشمل كل عمل سام مبتكر للجمال في الصور والحركات والأصوات وغيرها، كما أنها تشتمل على كل الإبداعات التي تنتج من قرائح الفنانين.

أما الفن في الأدب "فهو جودة العرض وحسن السبك وجمال الأسلوب وقوة العاطفة ونشاط الخيال"[2]

ومما لا ريب فيه أن القصة القرآنية تساهم في إصلاح الفرد والمجتمع، بل هو غايتها. لكن لا ينفي أن تكون القصة الفنية ذات منهج وأسس وفي نفس الوقت تكون بعيدة كل البعد عن الرمز والأسطورة.

ولما كان الله عز وجل خبيرا بنفوس عباده من ميلها لكل ما هو جميل، فإنه قد انزل كلامه في قالب فني، ترق له القلوب وتأنس له النفوس ويسهل نفوذ معناه إليها.

ويسعى السيد قطب إلى تخليص كلمة فن من كل الشوائب، بل ويؤكد أن استخدامه لها في دراسته لصور القرآن ما قصد به إلا إظهار جمال العرض وتنسيق الأداء وبراعة الإخراج[3]، أي أن الفن هو أداة مقصودة بغية التأثير الوجداني وتحقيق

---

[1] _عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، ط2، عام 1972، دار النهضة، ص10.

[2] _ نظرية التصوير الفني عند الخالدي صلاح عبد الفتاح، دار الشهاب، الجزائر، 1988، ص72.

[3] _انظر: سيد قطب، مشاهد القيامة في القران، دار الشروق، ص299.

الاستجابة النفسية، وفي هذا يقول السيد قطب: "الفن في القرآن إبداع في العرض، وجمال في التنسيق، وقوة في الأداء، وشيء من هذا كله لا يقتضي أنه يعتمد على الخيال والتلفيق والاختراع، متى استقام التفكير وصحت الأفهام" [1]؛ أي أن عرض الحقائق في صورة فنية لا ينفي عنها صدقها وواقعيتها، لأنه من شروط العقيدة الإسلامية وفي سائر مسائلها أن تقوم على أساس من اليقين، وفي تقرير هذا المبدأ يتجه الخطاب الإلهي إلى الإنسان قائلا: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾[2].

و بناء على هذا فالقصة القرآنية تسمو فوق كل ما يمكن أن ينسب إليها من الاختراع والتلفيق، وذلك كونها تقوم على أسس من الحقيقة المطلقة التي لا يعترض جمالها وهم أو خيال وبتصريح من القرآن الكريم ذاته إذ جاء في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾[3].

ومن هنا كانت القصة القرآنية أكثر الوثائق صدقا وواقعية، بل وأسمى القصص على الإطلاق لما حوته من قيم الإيمان والخلق القويم وألوان الإبداع في كل نواحيه، في نظام الخلق والإبداع الفني الذي يتلاشى أمامه كل فن، فكان بحق المنهج الرائع للقصة الفنية، حيث الصدق الواقعي والصدق الفني، وذلك ابتغاء تحريك القلب وإيقاظ مدارك العقل "لينهض كل بعلمه وليسهم كل منهما في تحقيق إنسانية الإنسان، ثم في إقامته على صعيد من العبودية التامة لله عز وجل"[4]

---

[1] _ سيد قطب، المرجع نفسه، ص299.

[2] _سورة الإسراء، الآية 36.

[3] _سورة يوسف، الآية 111.

[4] _رمضان البوطي، من الفكر والقلب، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ص97.

إن المنهج القصصي في القرآن الكريم نموذج في التكامل والانسجام، وإذا كان الباحثون والكتاب في الأدب والعلم يتخيرون مناهجهم اليوم، فإن الفضل يعود للقرآن الكريم في إنارة السبيل لهم، وذلك لأسلوبه ومنهجه المحكم.

وإذا كانت غاية منهج القصص القرآني هداية الخلق وإرساء دعامة التوحيد في الأرض، فهذا لا يعني أنه يتبع اللغة الجافة والنظريات المجردة، إنما يصوغ العقيدة في قالب جمالي تميز به أسلوب القرآن ككل ولم يقتصر على أسلوب القصص فقط .

هذا ويتركب القصص القرآني من مناهج تتكامل وتتجه لتصب في الهدف الوحيد الذي سيقت القصة من أجله، إذ يتآلف المنهج النفسي مع التجريدي والديني لينتج من انصهارها منهجا كامل البناء والتركيب ليخدم الغرض العقيدي[1].

أ/ البعد النفسي:

يبرز هذا المنهج في تصوير طبائع البشر، وتمثيل نفسياتهم وتجسيم مشاعرهم وخواطرهم، وتظهر وحدة هذا المنهج في إبراز كثير من الظواهر السلوكية في الإنسان، إذ تتناول النواحي الدينية والروحية والقيم الإنسانية العليا والحب في أسمى صوره الإنسانية، وتتجلى في أثر العبادات في سلوك الإنسان، والصراع النفسي بين الدوافع الدينية والدوافع الروحية، وتوافق الشخصية عن طريق تحقيق التوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي في الإنسان[2]

ومن هنا يدرس البعد النفسي في قصص القرآن الشخصيات بكل أنماطها، وسلوكاتها وأنواعها الخيرة والشريرة والمنافقة، ويرصد مكنوناتها من مشاعر مختلفة وأحاسيس متضاربة .

---

[1] _ رمضان البوطي، المرجع السابق، ص15.

[2] _انظر:الدالي محمد، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، مون للطباعة والتجليد، ط1، 1414هـ، 2001م، ص22.

فلنتأمل مثلا نوايا نفسية إبليس اللعين من خلال هذا السياق الكريم:﴿ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾[1]، تبرز هذه الآية نفسية هذا المخلوق اللعين، الذي أخذه الكبر والغرور أن رفض إطاعة أمر الله، ورسم التعبير الكريم مكره وخبثه وجهده في إخراج أبوينا من الجنة ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[2] ، لاشك أنه مشهد يثير المشاعر لما فيه من تشخيص لهذه العينة الفاسدة، ويبرز درجة الكره الذي يكنه إبليس وقبيله لبني آدم إلى حد يجعل هدفه في الحياة وسبب وجوده التضييق على الإنسان وتنغيص عيشه والحيلولة بينه وبين خالقه.

بناء على هذا، يبدو بجلاء أن البعد النفسي في القصص القرآني مصاحبا للأحداث حيثما حلت، ولا يترك خالجة ولا موقفا إلا واقترن به، ذلك أن الغاية في القصص القرآني ككل هي تحقيق الأثر نحو الاستجابة، وقد سبق وتحدثنا في فصل الوجه النفسي للصورة عن الدور الذي تمارسه تعابير القرآن في شد النفوس وإحداث الهزة.

ب/ البعد الحسي والتجريدي:

لمّا اقتضت مشيئة الله أن يخلفه بنو البشر في الأرض، جهزهم بجهاز الرغبات والانفعالات، ووهبهم الحواس للتعامل مع عالمهم المحسوس، كما منحهم العقل وحمّلهم مسؤولية الإدراك اتجاه الأمانة التي أوكلت إليه [3]. ويقول عز من قائل: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا**

[1] –سورة الأعراف،الآية 12 إلى 14.

[2] -سورة الأعراف، الآية 17.

[3] –انظر: محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص66.

الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1].

وبذلك ارتقى الإنسان من عالم المحسوس إلى عالم أوسع أفقا، هو عالم المعاني المجرد، ليدرك غاية وجوده ووجود خالقه، حتى يتجه إلى طريق الحق والفضيلة ويبتعد عن سبيل الظلال والرذيلة، وذلك اعتمادا على الاستدلال من جمال خلق الله الموجودة وموجوداته[2].

ومن الواضح أن المنهج الحسي والتجريدي في قصص القرآن يخاطب العقل والحواس، ويهيئ السبيل للحواس لتكشف مكامن الحقيقة، ونقلها للعقل حتى تستجيب النفس وتذعن للهداية، كل ذلك بسوق الأدلة والبراهين العقلية والدعوة إلى التدبر والتفكير في كل مخلوقات هذا الكون وموجوداته [3]. يقول عز وجل :﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17 (وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾**[4].

كل ذلك بغاية إيقاظ شعور الإنسان بالمسؤولية الموكلة إليه، إذ ينتهج القصص القرآني الحس والتجريد، ليبلغ الأثر الذي يتوخاه القرآن ككل. وطبيعي أن يرمي القصص القرآني إلى حمل الفرد على الملاحظة التأملية في خلق الله وإبداعه، فتفتح الحس يدفع إلى الإيمان بخالق الوجود.

وأخيرا، نصل إلى القول بأن القصص القرآني وظّف حواس الإنسان وعقله وساق الأدلة الحسية والبراهين العقلية التي لا يصعب معها على كل ذي بصر وبصيرة

---

[1] –سورة الأحزاب، الآية 72.

[2] –ينظر:محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص66.

[3] – محمد الدالي ، المرجع نفسه، ص69.

[4] –سورة الغاشية، الآية 17 إلى 20.

ملاحظة وجه الحقيقة الإلهية، مع وجوب التذكير بالأسلوب الأخاذ بتعبيره الجميل، وبذلك يصبح البعد الحسي والتجريدي في قصص القرآن سبيلا لإرساء دعائم العقيدة الإسلامية.

ج/ البعد الديني:

لا شك أن الدين هو عماد الحياتين، بل وأن الأديان السماوية هي التي رفعت من قدر الإنسانية في الكون، وعلمت الإنسان "كيف يسمو فوق ذاته، كان لها النصيب الأوفر في دفع عجلة الزمن للخروج بالإنسانية من البدائية اللاهوتية، التي كان من أبرز أثارها في الإنسان سيطرة الأوهام عليه، فأصبح بفضل ما غرست هذه الأديان في قلبه من اطمئنان، وفي نفسه من ثقة باحثا عن حقيقة وجوده، عما يمكن من فرض سيادته على هذا الكون الذي أنس إليه بعد وحشته"[1]

وطبيعي أن ينسجم الدين مع الفن لما لهذا الأخير من أثر في النفوس، لذلك جاء القصص القرآني ليشد من أزر الدعوة إلى دين الله، ذلك أن الأسلوب القصصي من أنجح الأساليب لتحقيق هدف الهداية والتوجيه.

ومن هنا يصبح البعد الديني مواكبا للقصص القرآني، بحيث تسعى القصة إلى بث الخلق الكريم والإيمان بمدبر الكون، الذي يتحكم في مصائر الناس جميعا، كما يسعى القصص القرآني إلى وجوب التدبر في ما سرده من أخبار الأقوام. وفي القرآن إشارة لقصة قوم يونس عليه السلام مثلا الذين أوشكوا على الوقوع في العذاب لولا إيمانهم؛ ﴿**فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ**

[1] _العرابي لخضر، أغراض القصص القرآني عند السيد قطب، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، ص406.

الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1]، هذه إذن الحقيقة التي يقررها قصص القرآن حقيقة الإيمان وما ينيره لصاحبه من سبل الرضى، وما يقابلها من حقيقة الكفر وما يستوجبه من ثقل العذاب والخزي، فكانت هذه القصص بحق أداة لتربية النفوس وتثبيت العقيدة بفضل المنهج الذي سلكته.

وأخيرا، نعود ونقول أن منهج القصص القرآني هو منهج شامل كامل وموحد، لأنه منهج القرآن ككل الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم بوحي من الله جلا وعلا، منهج يرسم للبشر خط مسيرتهم على وجه الأرض، ويقوم به سلوكاتهم ويصحح اعوجاجهم في جاهليتهم، تألف من تكامل البعد النفسي والحسي والتجريدي والديني كما سبق حتى يصل إلينا كامل البناء والتركيب تصب فيه روافد العقيدة الإسلامية السمحة. ولاشك أنه النموذج الأمثل لفن الكتابة، وكما أن القرآن حمل في ثناياه كل شيء معجز حوى كذلك المنهج المعجز في الأداء الفني للقصة.

[1] _سورة يونس، الآية 98.

الفصل الأول

أولا: مفهوم الصورة الفنية:

أ) لغة: لقد ورد تعريف الصورة في لسان العرب لابن منظور حيث قال: "الصورة في الشكل، والجمع صُوَرٌ، وصِوَرٌ، وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير التماثيل"[1]

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فلقد ورد مفهوم الصورة في المعجم الوسيط بأنها "الشكل والتمثال المجسم"[2].

كما يعرفها ابن الأثير قائلا: "الصورة ترد في لسان على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته"[3]

كما أن هذا المصطلح قد ورد في التنزيل العزيز في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ [4].

كما نجد مفهوم هذا المصطلح في القاموس المحيط "الصورة بالضم الشكل <ج> صُوَرُ وصِوَرٌ كعنب... وتستعمل الصورة بمعنى النوع و الصفة....."[5].

---

[1] _ابن منظور، لسان العرب، المجلد4، دار صادر، بيروت، ط1، سنة 1997، ص85.

[2] _المعجم الوسيط، ج1، دار الدعوة، اسطنبول، سنة 1889، ص525.

[3] _ابن منظور، لسان العرب،المرجع السابق، ص85.

[4] _سورة الانفطار، الآية 7 إلى 8.

[5] _الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج2، ط2، سنة 1344هـ، بالمطبعة الحسنية المصرية، ص73.

هذه بعض المترادفات التي وضعت كمقابلة لشرح مصطلح الصورة، فلطالما كانت مشكلة تحديد المصطلح تخلف تضاربا في إدراك المفاهيم الحقيقية للألفاظ، وقبل أن تصبح الصورة أدبية وفنية، على الفنان أن يمر بمرحلة الإدراك الحسي الذي "يقصد به الأثر النفسي الذي ينشأ من انفعال الحاسة أو عضو الحاسة... و يعني الفهم أو التعقل بواسطة الحواس، كإدراك ألوان الأشياء وأشكالها وأحجامها بواسطة حاسة البصر"[1]

ب)اصطلاحا: توحي كلمة صورة بالشيء الملموس معبرا عنه بأداة تشكيلها، إذ أخذت بمعناها المادي للكلمة، هذا ما جعل الكثير يخلط بين الصورة الفوتوغرافية والوصف مع الصورة الشعرية، غير أن الأداة في هذه الأخيرة هي اللغة التي تُخضع الشيء المصور إلى تحويل بواسطة اللغة.

وعليه فالصورة كما يقول الدكتور "عبد القادر القط": "الصورة في الشعر هي التشكيل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع...وغيرها من وسائل التعبير الفني، والألفاظ والعبارات هما المادة الأولى التي يصاغ منها ذلك الشكل الفني"[2]

ج)مفهوم الصورة عند النقاد العرب القدامى:

إن مفهوم الصورة درس قديم تناوله القدماء من النقاد العرب، كل يسهم فيها بسهمه سواء أبعد الهدف أم قاربه، ولقد رفع عبد القاهر الجرجاني من شأن الصورة

---

[1] _انظر: عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، ص68.

[2] _انظر: عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص435.

حين جعلها أساسا للجمال الفني، فمنهجه في دراسة الصورة منهج متميز عما سبقه من العلماء العرب على الرغم من إفادته الكبيرة من جهودهم، وهو لم يدرس الصورة بشكل منفرد وإنما درسها في إطار النظرية العامة للنظم والصياغة، وهذه النظرية تجمع بين علمين كبيرين في التراث العربي هما النحو والبلاغة، ولقد أفاض في كتابيه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" ومن إشارته إليها قوله: "ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا وتوجب له بعد الفضل فضلا"[1].

فعبد القاهر الجرجاني ذروة إبداعه الفني والنقدي في دراسته للصورة، حينما ينظر إليها متكاملة لا تقوم على اللفظ وحده أو المعنى وحده، بل إنهما عنصران مكملان لبعضهما فيقول في ذلك: "واعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا"[2]

ويحدد الجاحظ موقفه من هذه القضية حيث يبين مصطلح التصوير في سياق تعريفه للشعر، فيقول: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني إنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من نسيج وجنس التصوير"[3]

يظهر من خلال مقولة الجاحظ فصلٌ بين اللفظ والمعنى، فالشأن في تصوره في الصياغة "لأن المعنى قد يكون واحدا ولكنه في صورة مختلفة، ولعل حديثه عن

[1] _عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مطبعة وزارة المعارف، ط2، 1951، ص41.

[2] _عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه و علق عليه، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1989، ص320.

[3] _الجاحظ، أبو عثمان، الحيوان، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص131.

الصياغة وأحكام النسج في العبارات وتغير اللفظ والأوزان أنه يقصد الصورة دون أن يذكرها"[1]

أما إذا ذهبنا إلى حازم القرطاجني فإننا نجد أن رأيه في الصورة يحمل معنى الاستعادة الذهنية لمدرك حسي في الذهن، فيشرح هذه العملية في قوله: "أن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم"[2]. بالإضافة إلى هذا يذهب القرطاجني إلى الحديث عن أثر الصورة في السامع، أي تحقيق الانفعال لديه فيقول: "والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المتخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها أو تصور شيئا آخر بها انفعالا من غير رؤية إلى جهة من البساطة والانقباض"[3] فكان قصده أنه من وراء التصوير الفني للأفكار المدركة وقوع أثر من الاستحسان أو الاستهجان ناتج عن انفعال المتلقي، فعبر عنه بالانبساط والانقباض وهي نقطة التحول التي امتاز بها القرطاجني لأنه مس أحد أهم عناصر الصورة الفنية وهو الخيال، وهذا ماجعلنا ندرك بجلاء أن حازم القرطاجني في معالجته لموضوع الصورة لم يعتد مجرد الإيماءات إلى عناصرها أحيانا وإلى أهميتها أحيانا أخرى، وعليه فإننا لا نقف على مفهوم دقيق ومتكامل للصورة عنده شأنه شأن غيره من النقاد العرب القدامى، وإن كان مكمن الاستحسان عند الجرجاني لا يرجع إلى الجمع والحشد إنما إلى اختصار اللفظ وحسن الترتيب.

---

[1] _انظر: عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، ص49.

[2] _حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب خوجة، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط2، سنة1981، ص 18و 19.

[3] _ حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص89.

د) مفهوم الصورة عند النقاد و البلاغيين المحدثين:

لقد أسال موضوع الصورة الفنية الكثير من الحبر على صفحات النقد العربي الحديث والمعاصر، ولقد انشغل البلاغيون العرب المحدثين منهم والمعاصرون بمفهومها وعناصر تشكيلها وعلى العموم فقد كان المفهوم الحديث للصورة أكثر مرونة واعترافا بذاتية المبدع، ولكن هذا الاعتراف تباينته درجات من اتحاد أدبي إلى آخر ومن ناقد متميز إلى آخر، مما أدى إلى تشكل كم هائل من التعاريف المتنوعة حيث يعرفها جابر عصفور بقوله: "هي وسيلة تعبيرية لا تنفصل طريقة استخدامها أو كيفية تشكيلها عن مقتضى الحال الخارجي الذي يحكم الشاعر ويوجه مسار قصيدته، إما جانب النفع المباشر أو جانب المتعة الشكلية" [1]. وبهذا تكون الصورة هي وسيلة تخدم المعنى الذي يوجب عمل الشاعر، ومهما تميزت بطابع الخصوصية إلا أنها "لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه" [2] أي أن الصورة خادمة للمعنى وغايتها إيصال المعنى للمتلقي بأية طريقة، والخيال الإنساني هو القدرة على تلقي صور المحسوسات وإعادة تشكيلها بعيدا عن عالم الحس، ويظهر ذلك بجلاء في قول جابر عصفور: "فما البحث في طبيعة التخيل الإنساني ووظائفه إلا مقدمة للبحث في طبيعة التخييل الشعري ووظائفه" [3]، كما يعطي تعريفا للخيال بصفة عامة فيقول: " القدرة على تكوين صور ذهنية غابت عن متناول الحس"[4].

فالمبدع هو الذي يمتلك القدرة على تشكيل العناصر الخارجية حتى إن كان لا رابط بينها في الواقع الظاهر، ويعيد بناءها في ذلك القالب الفني الجمالي متجاوزا

---

[1] _جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ط3، 1992، ص403.

[2] _المرجع نفسه، ص392.

[3] _جابر عصفور، الصورة الفنية، ص27.

[4] _المرجع نفسه، ص13.

معطيات الواقع في نسج صوره سعيا لإعطاء رؤية جديدة مميزة للواقع نفسه، فينمو في المتلقي عمق الإحساس بالوعي.

وممن اهتموا بجمال التصوير نجد "مصطفى ناصف" الذي يعرف الصورة قائلا: "الصورة في الأدب تطلق عادة للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات"[1]، فيبدو أن "مصطفى ناصف" قد عاد بنا إلى بدايات التفكير النقدي حيث أطلقت الاستعارات للدلالة على بعض ما تدل عليه كلمة الصورة الآن، ومدلولها يتسع حيث شمل بعض الألفاظ مثل: التشبيه، الكناية ..... . و يلتقي معه "**جابر عصفور**" في هذا المذهب الذي يرفض أن تكون الصورة الفنية شبيهة بالمنطقية فهي ليست تشكيلا عقليا واعيا وليست تشكيلا اعتباطيا لأن الشاعر يشكل فيها المكان والزمان تشكيلا نفسيا خاصا متجانسا مع حالته الشعورية"[2]

فمما سبق يتضح لنا أن الصورة عند كلا الناقدين قد اتخذت اتجاها مغايرا لما عرفناه عند القدماء، ومجمل القول أن الصورة هي ذات امتداد طويل تطورت مع مرور الوقت فتحدث عنها نقاد قدامى كثيرون من أمثال: "الجاحظ" و"عبد القاهر الجرجاني" ومن العرب المحدثون أمثال: "**جابر عصفور**" و"**مصطفى ناصف**"، فقاموا بتعريف الصورة من منطلق الخلفية الفكرية فهناك من ركز على مادتها في تعريفها وآخرون اعتمدوا على طريقة تشكيلها وصياغتها أو وظيفتها، كما حاول البعض الآخر التوفيق بين هذه الآراء فكانت هذه هي النقلة بين القديم والحديث، فبعدما كانت رهينة الواقع والحس أصبحت تتجاوزه إلى درجة خلق واقع جديد ناتج عن العلاقات الدلالية بين الألفاظ التي ينسجها خيال المبدع وشعوره.

---

[1] _مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار مصر للطباعة، مصر، ط1، 1958، ص243.

[2] _انظر: جابر عصفور، الصورة الفنية،ص163.

ثانياً: خصائص الصورة في القران الكريم:

لقد سخر الله عز وجل في كتابه أرفع أسلوب وأقربه إلى النفوس والعقول، حتى يصل إلى هدفه وهو التوجيه وغرضه الديني، ولعل الأسلوب الذي نقصده هنا هو الأسلوب التصويري، فالقرآن "يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة"[1]، وهذا ما يجعلنا نقر على أن الأسلوب القرآني يتخذ الجمال كأداة مقصودة للتأثير الوجداني في النفس البشرية، وذلك من خلال قوة التعبير والإيحاء، وبذلك يكون قد ألف بين الغرض الديني والغرض الفني، ومنه يصبح التعبير الجميل في القرآن أداة لتحقيق الغاية الدينية.

ومما هو بديهي أن فطرة الإنسان ميالة إلى كل ما هو جميل، لهذا أصبح المؤلفون والكتاب يتخذون الجمال في أقوالهم وكتاباتهم، بل ويتفننون في طريقة إلقائها حتى يتمكنوا من تبليغهم درجة التأثير الوجداني، فيقول عبد القاهر الجرجاني مؤكدا ذلك :" رأيتهم يجعلون الألفاظ زينة المعاني وجلية عليها، ويجعلون المعاني كالجواري والألفاظ كالمعارض لها وكالوشي المحبر واللباس الفاخر والكسوة الرائعة إلى اشباه ذلك مما يفخمون به أمر اللفظ ويجعلون المعنى ينبل به ويشرف"[2]. ويرى بعض النقاد أن معظم الأسلوب القرآني هو أسلوب تصويري، من بين هؤلاء "جابر عصفور" الذي يقول في حديثه عن النقاد القدامى :" أن الرماني وابن خبي والعسكري وغيرهم من البلاغين القدماء يتعاملون مع فكرة التصوير بشكل جزئي ضيق، حيث يقصرون

---

[1] _سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص6.

[2] _عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،تحقيق وتعليق أبو فهد محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط 3، 1413هـ، 1974م، ص236.

التصوير على أنماط الاستعارة والتشبيه فحسب، مع أن الفكرة يمكن أن تكون أعم من ذلك وأشمل لو نظرنا إلى الأسلوب القرآني كله على أنه أسلوب تصويري"[1]

وبهذا تكون بلاغة القرآن الكريم في تقديمه للمعاني للمتلقي في صورة حسية مع إظفاء نوع من الواقعية والحياة على أشياء ذهنية، بل وإن صح القول أشياء مجردة.

وكما يؤكد السيد قطب أن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن وقاعدته الأساسية وهو في نظره ليس "حلية أسلوب ولا فلتة تقع حيثما اتفقت، إنما هو مذهب مقرر وخطة موحدة وخصيصة شاملة وطريقة معينة يفتن في استخدامها بطرائق شتى وفي أوضاع مختلفة"[2]

ومما لا شك فيه أن للصورة القرآنية خصائص تسعى الموسوعة الفكرية الإنسانية إلى تذوقها واستشعار جمالها، وهي تتمثل في التخييل الحسي والتجسيم الفني والتناسق الفني ولكل منهم خصائص وميزات.

أ) التخييل الحسي:

قد اعتبر النقاد القدامى التخييل ضرب من الكذب والمخادعة، واضطرب عبد القاهر الجرجاني نفسه في فهمه، وخلص إلى أنه مناقض للعقل الذي يستلزم التصديق والتحقيق وينافي الوهم والتخييل[3]، وهذا ما أكده في قوله :" وما كان العقل ناصره والتحقيق شاهده فهو العزيز جانبه، المنيع مناكبه"[4].

---

[1] _جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1974، ص321.

[2] _ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص33.

[3] _ جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ص357.

[4] _عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق محمد عبد العزيز النجار، القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، 1977، ص251.

وبالرغم من أن الجرجاني قرن التشبيه والاستعارة بالقدرة على التصوير، بل حتى إنه حاول أن يرجع التمثيل إلى أساس نفسي إلا أنه اضطرب " في توضيح صلة كل هذه الصور البلاغية بالتمثيل، فهو تارة ينفي هذه الصلة لأن التخييل كذب ومخادعة، والاستعارة مثلا لا يمكن أن تكون كذلك، لأنها كثيرة الورود في القرآن الكريم، وهو تارة أخرى يضعها ضمن التخييل[1] وهذا ما يجعلنا ندرك بجلاء أن الاعتماد على التشبيه والاستعارة في التصوير يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، فهو تعبير عن الصورة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية.

إلا أن جابر عصفور يرى أن عبد القاهر لم يجد فهم الأساسين الفني والنفسي اللذين يقوم عليهما مفهوم التخييل، على خلاف حازم القرطانجي الذي اعتبره جابر عصفور الناقد العربي الوحيد الذي استطاع أن يدرك الطبيعة الحسية للشعر وقدرة صورة على التقديم الحسي[2].

ولما كان التصوير قائما على التخييل الحسي فإنه قلما نجد سورة من سور القرآن وردت دون حياة أو حركة تخييلية، وهي حركة لا تظهر في معرض القص أو عرض المشاهد المختلفة فحسب، وإنما تظهر في مواضع لا تتوقع أن تظهر فيها إنما حركة تدعى التخييل الحسي انتهجها التصوير القرآني لإحياء مختلف الصور[3]، وهذا قليل من كثير من صور القرآن التخييلية الحسية.

ب) التجسيم الفني:

هو سمة من سمات القرآن ومن أمثلته ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا**

[1] _جابر عصفور، الصورة الفنية، ص357.

[2] _ جابر عصفور، المرجع نفسه، ص358.

[3] _انظر: السيد قطب،التصوير الفني في القرآن الكريم، ص34.

وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾[1] فلقد جسمت الذنوب وصارت أثقالا لا تحمل على الظهر ولقد عقدت الصورة بين ثقل الحسرة والندم وثقل الذنوب وعظمها.

ومن بين الذين اهتموا بالتجسيم الفني في القرآن الكريم السيد قطب وهو في نظره لا يقصد به المعنى الديني وإنما المعنى الفني فيقول: "ونحن نستخدم كلمة التجسيم بمعناها الفني لا بمعناها الديني بطبيعة الحال، إذ الإسلام هو دين التجريد والتتريه" [2]. ومن أ أمثلة التجسيم الفني في القرآن الكريم قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ} [3]، فقد أصبحت أعمال الكفارة وهي شيء معنوي مجسمة في شكل رماد هبت عليه الريح فصار هباء، ثم هاهي صفات المؤمنين تجسيم في الآية الكريمة: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[4]، والصورة هنا تجسيم الإنفاق الذي يزداد وينمو شأنه شأن الأشياء المادية، ولما كان الإنسان مولعا بالزيادة فجاءت الصورة موافقة لميوله.

ولنتامل كيف جسمت الروح في قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ** ﴾[5]، إنه مشهد رهيب تظهر فيه الروح وهي أمر معنوي في شكل جسم يتحرك وينتقل إلى حلقوم المحتضر حتى لنكاد نرى هذه الحركة التي يصورها التعبير البديع.

وقد يجتمع التخييل بالتجسيم في العديد من آيات القرآن الكريم، إذ يجسد التعبير الشيء المعنوي في صورة مجسمة محسوسة، ثم يمثل في الذهن حركة لهذه الصورة وهنا

---

[1] _سورة الأنعام، الآية 31.

[2] _سيد قطب، التصوير الفني فب القرآن الكريم، ص185.

[3] _سورة إبراهيم،الآية 18.

[4] _سورة البقرة، الآية 261.

[5] _سورة الواقعة، الآيتان 83_85.

يكون التجسيم سابقا على التخييل[1]، مثل قوله تعالى: ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾[2]، تجسيم الآية الكريمة الحق في شكل جسم هائل الثقل يهوي بصورة متخيلة سريعة على الباطل فيطمسه ويدمره، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3]، فلملاحظ أن السكينة هنا جسم يتحرك في صورة تخييلية حسية تستلقي على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

جـــ) التناسق الفني:

لقد بلغ التناسق في القرآن ذروته بما حواه من خصائص معجزة "فمن نظم فصيح إلى سرد عذب إلى معنى مترابط إلى نسق متسلسل إلى تعبير مصور إلى تصوير مشخص إلى تخييل مجسم إلى موسيقى منغمة إلى اتساق الأجزاء إلى تناسق في الإطار ... .الخ إلى افتنان في الإخراج، وبهذا كله يتم الإبداع ويتحقق الإعجاز" [4]، ونلاحظ هذا التناسق مثلا في هذه الآية الكريمة التي يصف فيها الله الكفار بقوله عز وجل: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾[5]، إذ وردت لفظة الدواب في الموضع المناسب لها، والحالة المصورة متناسقة كثيرا إذ لا فرق بين من لا ينتفع بالهدى الذي بين يديه، وبين الدابة التي لا تعقل ولا تعي، ويصورهم النظم البليغ في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ** ﴾[6]، فإن حالة الكفار هنا مصورة في صفة الأنعام إذ لا هدف لهم في هذا الوجود سوى

---

[1] _انظر السيد قطب، التصوير الفني، ص69_70.

[2] _سورة الأنبياء، الآية 18.

[3] _سورة التوبة، الآية 26.

[4] _التصوير الفني في القرآن الكريم ،السيد قطب، ص 116.

[5] _سورة الأنفال، الآية 22.

[6] _سورة محمد، الآية 12.

الأكل والشرب كما تأكل الأنعام وتشرب في غفلة عن الحق، والغاية التي خلقوا من أجلها.

وقد يقابل التعبير القرآني بين صورتين إحداهما في الماضي والأخرى حاضرة، من مثل قوله عز وجل: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ** ﴾[1]، فالآية الكريمة تصور خلق الإنسان من نطفة وذلك بالعودة إلى أصله وتكوينه في بداية خلقه، ثم تحلق بنا نحو الحاضر أين تظهر مشهده وهو خصيم مبين، وتترك للخيال فرصة تمثل البعد بين المرحلتين فعلى النفس البشرية أن تتواضع أمام خالقها حين تدرك أصلها الحقير الصغير.

ومن مثله أيضا قوله تعالى: ﴿ **كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (31) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (32) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى** ﴾[2]، فالمشهد في البداية يصور لنا المحتضر في لحظاته الأخيرة والروح تصعد إلى بارئها، وقد لفت ساقه بالأخرى، ثم تحيلنا الآية الكريمة على خلفيته الماضية في دنياه وما اقترفه من كذب وتولي... الخ

ضف إلى هذا التناسق في تعبير القرآن، التناسق الموسيقي مع المعاني وذلك ليس محل الصدفة، بل بغية التأثير في المتلقي وينتج هذا التناسق عن "فواصل متساوية في الوزن تقريبا متحدة في حرف التقفية تماما ذات إيقاع موسيقي متحد" [3]، كما هو الشأن في الآية الكريمة: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ**

[1] _سورة يس، الآية 77.

[2] _سورة القيامة، الآية 26_33.

[3] _السيد قطب، نظرية التصوير الفني، ص86.

الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[1]، "فقد انسجم الإيقاع مع السياق ذي الجمل المتوسطة الطول واسترسل تبعا للجو الشبيه بالجو القصصي"[2].

إنه ميزان موسيقي رفيع خفيف على الأذن شديد الأثر في النفس، ولعل هذا الجمال الصوتي والإيقاع الساحر والتناسق المحكم، هو أول ما شد الأذن العربية فور نزول القرآن وهو تناسق حفظ للقرآن مناعته وإعجازه.

إن القرآن الكريم ينطلق في تصويره من معطيات حسية ومواد من الطبيعة ألفها المتلقي، يقول تعالى: ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[3]، فالأرض والماء والنبات كلها عناصر طبيعية يراها الإنسان ويحس بها، وبما أن المحسوس أقرب إلى العقل، وأوثق صلة بالنفس، بين لنا القرآن الكريم هذا النوع من الصور حتى يصل إلى غرضه، فتكون العلاقة الجمالية والنفسية بين أطرافها، ضف إلى هذا فالقرآن الكريم حينما استخدم مواد العالم المحسوس في بناء صورة لم ينقله بحذافيره، إنما استطاع بهذا الكم من الصورة المتحركة أن يبني حياة جديدة وخلقا آخر لهذا الواقع يقول عز وجل: ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ** ﴾[4]، ففي هذه الصورة نرى ان مشاهد الجنة كأنها واقع نمر به، بل وكأننا نمشي في رياضها،

---

[1] _سورة النجم، الآية 1_4.

[2] _ السيد قطب، التصوير الفني، ص86.

[3] _سورة يونس، الآية 24.

[4] _سورة محمد، الآية 15.

وما ذلك إلا بفضل العناصر المجلوبة من الطبيعة، حتى تتضح معالم المشهد لإدراك المتلقي، بل ويكون في صورة ملموسة له، كل ذلك بواسطة وسائل تشد نفس الإنسان وتحرك شعوره الجمالي.

ولنتأمل قوله عز وجل: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ** ﴾[1]، فقد بينت الآية الكريمة حالة من الكفر، كمن يركض نحو سراب يظنه ماء، حتى إذا وصله فلا يجد شيئا فخاب أمله وباء بخسران كبير، وبهذا يرسم خيالنا صورة لأعمال الكفار التي ظنوها ثابتة تنفعهم عند الحاجة، وما هي إلا سراب كاذب، ثم هاهي صور أخرى ترسمها لنا آيات القرآن الكريم، تمثل لنا الشيطان في محاولاته الخبيثة لإخراج أبوينا من الجنة، إلى أن ينجح في ذلك، يقول عز وجل: ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**﴾[2] إذ تترسم صورة الشيطان الملعون في أذهاننا، وهو يعمل على زحزحتهما حتى انزلقت قدماهما وهويا خارج الجنة.

[1] _سورة النور، الآية 39.

[2] _سورة البقرة، الآية 36.

ثالثا: الوجه النفسي للصورة الفنية في القرآن الكريم :

إن الصورة في مفهومها البسيط هي عبارة عن " تركيب لغوي ينشئه خيال الفنان انطلاقا من معطيات أهمها العالم المحسوس ، إذ أغلب الصور تتولد من الحواس بالإضافة إلى الصور التي تمارس دورا هاما في إنشاء نفسية الفنان و هي تبدو قليلة إلى جانب الصور المادية ، كما أنها تأتي أحيانا في ثوب حسي " [1]

أي أن الصورة قائمة على إتحاد بين عناصر العالم الخارجي المحسوس و عالم داخلي شعوري.إلا أن الشيء المهم فيها أنها تثير الانفعال و أسلوب القرآن هو أسمى الأساليب على الإطلاق فلقد تميز بقدرة صوره على مفاجأة النفس و امتلاكها، بوسائل أهمها : التشبيه ، الكناية ، الاستعارة ، و الصورة للكلمة .

أ) الوجه النفسي للتشبيه في القرآن الكريم :

التشبيه فن من الفنون البلاغية يدل على سعة الخيال ، و جمال التصوير و أنه يزيد المعنى قوة و وضوحا ، كما أنه أصل من أصول التصوير البياني ، ووسيلة من وسائل التعبير الفني ، إذ به تتكامل الصورة و التشبيه في اللغة : هو التمثيل " يقال شبهت ذلك بذلك ، أي مثلته به ، و يعرفه علماء البيان ، هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدرة المفهومة في سياق الكلام " [2] و التشبيه في اللغة أيضا بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة . وهو مشتق من الفعل شبّه ، و يقال شبهت هذا بهذا تشبيها ، أي مثّله به و في لسان العرب : " الشبه و التشبه المثل و الجمع أشباه و أشبه الشيء ماثله و أشبهت فلانا و شابهته و أشبه على ، و تشابه الشيئان و اشتبها و اشتبها :

[1] – انظر : الصورة الفنية في القصة القرآنية، بلحسيني نصيرة، ص 58.

[2]– بكري شيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البيان، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984، ص 10.

أشبه كل منهما صاحبه و شبه إياه و شبه به مثله ،و التشبيه التمثيل و جاء في لسان العرب في مادة (مثل) و المثل :التشبيه يقال مـــثل و مثل ، و شبه يشبه بمعنى واحد "[1]

أما على المستوى الاصطلاحي فقد نال التشبيه عناية كبيرة من البلاغيين الذين ذكروا له عدة تعريفات اختلفت في لفظها لكنها اتفقت في مضمونها في كثير من الأحيان و من أبرز هؤلاء البلاغيين : ابن رشيق القيرواني فالتشبيه عنده : "صفة الشيء بما قاربه و شاكلة ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسب مناسبة عليه كان إياه"[2] هو عماد التصوير البياني فيقول ابن قدامة في تعريفه :" إنما يقع بين شيئين بينهما اشترك في معان تعمهما ،و توصفان بها و افتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها ،و إذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما حتى يدني بها إلى حال الإتحاد " [3] و من خلال هذه التعريفات يتضح أن التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لأخر في معنى مشترك بينهما في إحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدرة المفهومة من سياق الكلام لغرض يقصده المتكلم ،و لقد اتفق البلاغيون على أن التشبيه هو ربط بين شيئين أو أكثر في صفة من الصفات و مقدار اتفاقها و اختلافها ، فذهب بعضهم إلى أن أحسن التشبيه ما وقع بين شيئين ، و اشتراكهما في الصفات أكثر من إنفرادهما في الصفات ، حتى يوجد التشبيه بينهما و ذهب الكثير من البلاغيين المتأخرين إلى تفضيل التشبيه الذي تكثر فيه الاختلافات بين المشبه و المشبه به معا مما يفتح المجال لتخيل و التصور وقد عد التشبيه في القديم علامة للنبوغ ، فمنذ أن خلق الإنسان وجد نفسه يماثل بين الأشياء و يفاضل بينها و يقوم التشبيه على أربعة أركان و هي : المشبه ، المشبه به ، أداة التشبيه، ووجه الشبه .

[1] محمد أبو شوارب، أحمد المصري، قطوف بلاغية، دار المطبوعات، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006، ص9.

[2] ابن رشيق القيرواني :العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده،ج1،1972،ص286.

[3] قدامة ابن جعفر: نقد الشعر،ت،محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ص123.

و منه فالتشبيه في القرآن بالإضافة إلى نقل المعنى و توضيحه فهو وسيلة تأثيرية تسلط ضغطا على المتلقي فيؤدي إلى انفعال فإما أن يحب الشيء المصور أو ينفر منه و حين يعرض القرآن صورا لا وجود لها في الواقع فإنه يسعى لنقلها إلينا في شكل صورة قريبة و من مثل هذا ما جاء في تصوير شجرة الزقوم في قوله تعالى: ﴿ **أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (2)إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (63) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ** ﴾[1]فقد شبهت الآية ثمار شجرة الزقوم برؤوس الشياطين ،و إن كانت صورت الشياطين غير معلومة إلا أنها تمثل بالقبح يقول الجاحظ في شرح هذا التشبيه : " لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين و كراهيته ، و قد أجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك رجع الإيحاش و التنفير و الإخافة و التقريع إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين و الآخرين "[2]و هناك تشبيه آخر أكثر دقة في قوله عز و جل : ﴿ **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ** ﴾[3] إذ شبهت بالصوف و ذلك للدقة في تصوير هشاشة الجبال.

و التشبيه في النظم الحكيم يشد أنفسنا و يعصف بإحساسنا لأنها صورة ينسجم فيها الحس البصري ، بالشعور النفسي ، يقول عز و جل :﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾[4] فتصوير القمر في هيئة (العرجون القديم) أقرب للمعنى و أبلغ لأننا نسبح في تشبيه القرآن مع القمر في مراحله من استدارته الجميلة إلى أواخره، و حين يشبه القرآن محسوس بمحسوس ، فإنه يتحرى الانطباع النفسي للمتلقي مثل قوله تعالى

[1] سورة الصافات، الآيات، 62–66.

[2] الجاحظ، أبو عثمان، الحيوان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4، د.ت،ص29.

[3] سورة القارعة، الآية 5.

[4] سورة يس،الآية 42.

في وصف سفينة نوح عليه السلام : ﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ** ﴾[1] فلفظة الجبال توحي لأنفسنا بشدة الارتفاع و العلو ، و تصور لنا ما يحسه ركاب السفينة في مواجهة الأمواج ثم هاهو يصور لنا نساء الجنة ، و يدع النفس إلى إدراك هذه العلاقة الجذابة بين صورة حور العين و اللؤلؤ ،بقول عز من قائل : ﴿**وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ** ﴾[2] فللؤلؤ ليس لونا فقط ، و إنما يمتلك صفات من الصفاء و النقاء و الهدوء مما يجعله مصونا أي مكنونا شأنه شأن النساء التي تستدعي الصيانة و الحرص و الصلة بين الصورتين هي " من حيث الرفق و الحذر الذي يجب أن يعامل به كلاهما ، و حتى في هذا الرفق أيضا صلة تجمع بينهما ، فليس الحس وحده الرابط و الجامع و لكن للنفس نصيب وافر"[3].

ب) الوجه النفسي للكناية في القرآن الكريم :

الكناية هي وسيلة من وسائل تشكيل الصورة و هي لفظ أطلق و أريد لازم معناه أي أريد المعنى و تعبَر عنه بلفظ غيره مع إمكانية إيراد المعنى الحقيقي، و الكناية منذ عصور سالفة مع البلغاء القدامى إذ تناولوها.و من المهتمين بالكناية عبد القاهر الجرجاني الذي يرى أن " المراد بالكناية هي أن يريد إثبات معنى من المعاني فلا يذكر باللفظ الموضوع له في اللغة و لكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه و يجعله دليلا عليه مثال ذلك قوله : و هو طويل النجاد يريدون بها طويل القامة "[4]

و من هنا فالكناية تحمل معنى الخفاء و شيئا من الغموض و ليس المقصود هنا الغموض المؤدي للعمى و الضبابة لكن خفاء بناء يجعل المتلقي يعمل فكره و عقله حتى

---

[1] سورة هود، الآية 42.

[2] سورة الواقعة، الآية23.

[3] انظر:المصحف الميسر، مصحف المدينة النبوية، مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص 533.

[4] عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،دار المعرفة،بيروت،1981،ص157.

يصل لعمق الصورة و يعتبر قدامة ابن جعفر من السباقين إلى التعرض للكناية من خلال باب "ائتلاف اللفظ و المعنى " بحيث أطلق عليها مصطلح الإرداف فيقول :و هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ،بل بلفظ يدل على ذلك المعنى ،بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه و تابع له فإذا دل التابع أبان عن المتبوع " كما تعد الكناية تصويرا لإبراز صحة المعنى و رسم صورة أوضح للموقف و للإشارة فإن أول من تعرض لمفهوم الكناية هو " أبا عبيدة معمر ابن المثنى " في كتابه :" مجاز القرآن " و كان مفهومه لها هو أنها كل ما يفهم ما يتصور في عقل الإنسان عن طريق التلميح لا عن طريق التصريح و الإفصاح أما " ابن رشيق " فقد جعلها نوع من أنواع الإشارة في قوله : " إنه التورية في إشارة العرب حيث يكنون عن الشجر بالناس" [1]

فالكناية من صور البيان التي لا يقوى عليها كل بليغ متمرس و هي " ضرب منن إخفاء المعاني و تخبئها وراء روافدها لتحقيق أغراض يقصد إليها المتكلم ، حيث يترك التصريح بالمعنى الذي يريده ، و يعمد إلى رواد فه و توابعه فيوميء بها إليه " [2]

بالإضافة إلى أنها تضيف جمالا فنيا لا يوجد في التعبير المباشر و لنتأمل ما تصورُه الآيات القرآنية عن طريق الكناية من مثل قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1 (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾[3]فحقيقة وجود الساعة مفروغ منها ، و إنما جاءت الكناية في هذه الآية لإثبات شاهدها و دليلها ،و هو أنها تفزع القلوب ، و تزلزل النفوس ، وذلك تعظيما لها تحذيرا من هولها ، و هي صورة تهز وجداناتنا و تشد عقولنا لما حوته من معاني الرهبة و الخشوع أمام الموقف

[1] عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص208.

[2] انظر:الصورة الفنية في القصة القرآنية،ص65.

[3] سورة الحج، الآية 1– 2.

الذي أذهل الخلق و أفزعهم و ألهاهم حتى عين المرضعة تشخص له ، و تضع الحامل – أمام هوله – حكمها و يفقد كل ذي عقل عقله دون سكر.

و الكناية الموحية أيضا قوله تعالى :﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** ﴾[1] فالتعبير عن البخل باليد المغلولة إلى العنق ، فهو تصوير محسوس لهذه الصفة المذمومة في صورة قوية منفرة ، فهذه اليد التي غلت إلى العنق لا تستطيع أن تمتد بالإنفاق كما أن التعبير عن بسطها كل البسط يصور لنا صورة المبذر الذي لا يبقى من ماله شيء و بهذا تكون الكناية قد استطاعت أن تنقل المعنى بشكل قوي ومؤثر .

و منها أيضا قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾[2] و لنتأمل كيف : مثَل الاغتياب بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله ، و لم يقتصر على ذلك فحسب بل جعله لح الأخ و التمثيل شديد المناسبة لأن الاغتياب هو ذكر لعيوب الناس ، و تمزيق لأعراضهم ، و تمزيق العرض مماثل لأكل اللحم لأن اللحم يمزق لا محالة و من المعلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر مثله و أما قوله : " ميتا " فالظاهر لأن المغتاب لا يشعر بغيبته و لا يحس بها .

ثم تبرز الكناية في موضع آخر لشدة الهول و لكن هذه المرة بردة فعل مختلفة ، وذلك في قوله : ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34 (وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾[3] إنها صورة هول مرفوق بفرار و حركة ، لا سكون و صمت ، فإذا كان الناس في الأول يبدون كالسكارى فإنهم في هذه الصورة مدركين لعظم

[1] سورة الإسراء، الآية 29.

[2] سورة، الحجرات، الآية12.

[3] سورة عيسى، الآية 34–36.

المصيبة حيث لا همَ لأي شخص إلا لنفسه و منه يبرز جانب آخر في هذه الصورة هو جانب الفرار من الآخرين و انفراد كل بأمره .

و لننظر إلى الكناية في الآية الكريمة : ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا** ﴾[1] إنها توحي بشدة الألم الذي يحدثه الندم ، إذ يتمثل الظالم واقفا يعض على يديه ، مما يشعرنا بعظم اليوم و هوله ممزوجا بروح الهداية و الإرشاد .

ثم ننظر كيف يكنى القرآن عن النميمة، في و صفه لزوجة (أبي لهب) يقول تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1)مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ** ﴾[2] فخيل إلينا أننا نرى هذه المرأة ، و هي تنقل الحطب لكي توقد به نار الفتنة و العداوة بين الناس في حركة دائمة ، و هو ما توحيه لفظة حمالة و التي توحي على الحركة المتكررة .

ج) الوجه النفسي للاستعارة في القرآن :

تحتل الاستعارة مكانة مهمة في الدراسات البلاغية و النقدية القديمة و الحديثة على حد سواء ، و كلاهما لم يهون من شأنها لأنها من العناصر الأساسية في التصوير البياني ، فتفننوا في دراستها باعتبار أنها أسلوب من الكلام يكون لفظ يستعمل في غير مكانه ، و قد ورد إليها عبد القاهر الجرجاني كثيرا من قيمتها و أظهر فضلها من خلال تعريفه لها فقال . " أعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون اللفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير شاعر في ذلك الأصل ، و ينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية " فقد أصبح ينظر إليها على أنها علاقة لغوية تقوم على المقارنة ، أي الانتقال بين الدلالات دون أن يكون لها فاعليتها الخاصة في خلق المعنى و إيجاده ، و التعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه دونها .

[1] سورة الفرقان، الآية 27.

[2] سورة المسد، الآية 1-4.

و لقد كان النقد العربي ينظر إلى الاستعارة بأنها انتقال في الدلالات أو تعليق للعبارات على غيرها و ضعت له في أصل اللغة على جهة النقل فهي عند الجاحظ " تسمية الشيء باسم غيره إذ قام مقامه " بالإضافة إلى هذا يرى الدكتور جابر عصفور : " إن التعبير الإستعاري قد يقوم على درجة من درجات التقمص الوجداني ، تمتد فيه مشاعر الشاعر إلى كائنات الحياة من حوله ، فيلتحم بها و يتأملها كما لو كانت هي ذاته ، و يلغي الثنائية التقليدية بين الذات و الموضوع " [1] وأيضا نجد عبد القاهر الجرجاني قد عرّفها : " أن تريك تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه و تظهره، و تجيء إلى اسم المشبه به فتغير المشبه...."[2]

إذا الاستعارة هي إلباس صفة في شيء معين لم تكن فيه من قبل لكن الاستعارة لم تحظى بالمكانة التي حظي بها التشبيه في القديم ، فقد كان خيراً منها، لكن في عصرنا الحديث أصبحت خيراً منه فهي الأكثر استعمالا و استنارة للخيال و أكثر تحليق على عالم لا تحكمه روابط و لا قيود و أكثر حرية لإستعمال اللغة و تفجير بواطنها، وسواكنها وطاقتها الكامنة.

فالطبيعة التركيبية للإستعارة تقوم على الحس و ليس على التحليل فهي بذلك تجمع بين المحسوس و الملموس و تؤلف بينه في صورة إستعارية موحدة يلعب الخيال فيها دوره الرئيس من خلال عبثية اللغة و استعمالها.

ومما سبق يتبين أن الإستعارة تسيدت فنون البيان جميعها لما لها من قدرة على الإيجاز ، و قدرة الإدماج، و التكثيف و مزج التناقضات و إبداع المعنى في صورة جديدة و يرى أيضا ابراهيم أمين الزرزموني : " إن الإستعارة –في رأينا– قمة الفن البياني ، و جوهر الصورة الرائعة ، و العنصر الأصيل في الإعجاز و الوسيلة الأولى التي يحلق بها

[1] جابر عصفور،الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي،ص204.

[2] عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز،أحمد مصطفى المراغي،المكتبة العربية،القاهرة،1950،ص67.

الشعراء و أولوا الذوق الرفيع إلى سماوات من الإبداع ما بعدها أروع ، ولا أجمل ، وأحلى بالإستعارة ينقلب المعقول محسوس تكاد تلمسه اليد ، و تبصره العين ، ويشمه الأنف ، و بالإستعارة تتكلم الجمادات و تتنفس الأحجار ، و نثري فيها ألاء الحياة " [1] و بالإضافة إلى كل هذه التعريفات التي تصّب في مصب واحد يجوز القول أن الإستعارة هي تشبيه حذف منه جميع أركانه إلاّ المشبه أو المشبه به، و ألحقت به قرينة تدل على أن المقصود هو المعنى المستعار لا الحقيقي و لنتأمل قوله تعالى : ﴿ **وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (41) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (43** ﴾[2] هذه الصورة تقدم لنا العذاب و القسوة الذين يقابل بهما الظل أصحاب الشمال فإن الصورة جعلتنا نشعر بهول هذا المشهد و بشاعته و ذلك لأنها مست مكامن الخوف في أنفسنا.

و منها لإستعارة التي تجعلنا نتخيل جوامد الطبيعة عالم متحرك و يظهر هذا في قوله عز وجل :﴿ **وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5)** ﴾ [3] فهذه الآيات تجعلنا نشعر أن نسبة "الاهتزاز إلى الأرض شيء غير مألوف في الواقع المادي و مع ذلك تمثل إحساسنا بما بثه الماء أبلغ تمثيل من تسرب الحياة إلى الأرض بعدما كانت ساكنة " [4] ونحن هنا لا نحس الأرض كالكائن الحي ، وإنما نحسها كائن حي ، تحيا حياته، و تتحرك بحركته و ذلك بفضل الأسلوب المعجز في التصوير.

و أحيانا، تخرج الإستعارة القرآنية عن غرض المدح إلى غرض التهكم حين يقتضي السياق ذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ**

1 محمد بدري عبد الجليل، المجاز و أثره في الدرس اللغوي،دار النهضة العربية،بيروت،1980،ص106.

2 سورة الواقعة،الآية،41-43.

3 سورة الحج،الآية،5.

4 انظرا لمصحف الميسر،ص،411.

لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] إنه قوة الإعـــــجاز في الأثر النفسي المنبعث من تلك الأيات البينات و هذا قوله تعالى في سورة الحاقة ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ** ﴾[2] حيث وصف الريح بأنها عاتية أي " شديدة العتو أبلغ منه " و ما أروعها من صورة تنقل الحس دوّي الرياح سبع ليال و ثمانية أيام حسوما فيقول : ﴿ **فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ** ﴾ [3] إنه الفن القرآني الكريم فهو يبلغ من الجمال مستوى رفيعا و من صور الإستعارة الجميلة ما جاء في سورة مريم في قوله تعالى:﴿ **ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** ﴾ [4] فأصل الإشتعال للنار، و هو في هذا الموضع أبلغ ، و حقيقته هي كثرة الشيب في الرأس إلاّ أن الكثرة كانت تتزايد بشكل سريع ، صارت في الإنتشار كإشتعال النار ، و له موقع عجيب في البلاغة فهو لون بديع من التخيل فحركة تخيل إنتشار الشيب بسرعة إشتعال النار حركة معبرة و مصورة ، فيها حياة و فيها جمال و إذا كانت هذه الآيات قد تجاوزت حد الروعة و الإبداع فإن هذا يذكرنا بأن الجمال ليس وحده فيما فيها من استعارات لطيفة ، بل وبما فيها أيضا من دقة النظم ، و براعة التنسيق ، و احكام التأليف ، ووضع كل كلمة، بل كل حرف في مكانه الذي لا يقبل سواه.

كذلك من لطيف الإستعارات في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴾[5] هذه الصورة القرآنية التي تطلق العنان للخيال ليسبح في هذه الحياة في هذا الصبح الذي يتنفس

1 سورة لقمان،الأية7.

2 سورة الحاقة،الآية،8.

3 سورة الحاقة،الآية،8.

4 سورة مريم ،الآية،4.

5 سورة التكوير ، الآية 18.

فتتنفس معه الحياة فما أعجب الصبح عندما يأتي به التصوير القرآني حيا نابضا، و كأن لم تشهده من قبل عينان و الرمان يشرح هذه الإستعارة فيقول : "وتنفس هاهنا مستعار ، وحقيقة: إذا بدأ انتشاره، وتنفس أبلغ منه، ومعنى الإبتداء فيهما، إلاّ أنه في التنفس أبلغ لما فيه من الترويح عن النفس "[1]. و أي ترويح عن النفس فهو يعدل إشراقة الصبح، حيث الحياة والحركة.

د) الوجه النفسي لصورة الكلمة في القرآن الكريم :

تبنى الصورة القرآنية في كثير من الأحيان من مجموعة ألفاظ تتكامل فيما بينها، و" تنشىء كاملة المعالم مما يعني أن الصورة في هذه الحالة بنيت بالعبارة الكاملة "[2]

لكننا نصادف لونا آخر من ألوان الإعجاز في القرآن الكريم جين " يستقل لفظ واحد لا عبارة كاملة برسم صورة شاخصة لا لمجرد المساعدة على إكمال معالم الصورة "[3] فالقرآن الكريم يعني عناية تامة بالمفردة التي تميزت في نسقه الكريم بجمال وقعها على السمع و الاتساق الكامل في المعنى مع اتساع الدلالة و هي مزايا قد نجد بعضها في أساليب عدد من الأدباء أما أن تجتمع كلها في لفظة واحدة فهذا لا يكون إلاّ في القرآن الكريم و لنتأمل قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ** ﴾[4] فلفظة (اثاقلتم) انفردت برسم صورة كاملة،و هي بتركيبها و أصواتها " تخيل لنا مشهد الجسم الثقيل الذي تجهد الأيدي في رفعه مما يوحي إلينا ببطء

---

[1]– انظر:صلاح عبد التواب،الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط 1، 1995، ص73.

[2] – انظر:نظرية التصوير الفني عند السيد قطب،ص159.

[3]– المرجع نفسه،ص76.

[4]– سورة التوبة،الآية،38.

الحركة و التكاسل "[1] ، وهو ايحاء لا نجده مثلا في لفظة (تثاقلتم) أي أن جرس هذه الكلمة قد أسهم في تقريب معناها للمتلقي، وهي وسيلة من وسائل اللفظ في رسم الصورة.

وقوله تعالى أيضا : ﴿**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ** ﴾[2] إذ يثير الصورة التي يرسمها لفظ "(اعتلوه) في نفوسنا إيحاءات العذاب" [3] ، كما أنه يمثل بنية نفسية بما يلقيه في مشاعرنا جرسها الذي يوحي بالصوت العنيف و العقاب القاسي .

و عليه فإن الأمثلة على إسهام اللفظة في رسم الصورة بجرسها و ظلالها من منتشرة في مواضيع كثيرة من القرآن لا مجال لحصرها و يظل هذا اللون واحدا من الطرق البديعة التي انتهجها القرآن لتحقيق غرضه التوجيهي .

[1] انظر:المصحف الميسر،ص193.

[2] سورة الدخان، الآية 47.

[3] انظر: المصحف الميسر، ص397.

رابعاً: أنواع التصوير الفني في القصة القرآنية

إن القصص القرآنية هي قصص تنضج بالفن و الجمال ، و ذلك بفضل أسلوبها التصويري الساحر " فإمعان النظر في قصص القرآن يجعلنا ندرك مدى إسهام ريشة التصوير فيه ، و التي تجعل القصة الماضية مشهداً يدور أمام الأعين لا حادثاً مرت عليه القرون " [1] فالسيد قطب لاحظ في القصة القرآنية ، ثلاثة ألوان من التصوير و يتمثل اللون الأول " في قوة العرض و الإحياء ، ولون يبدو في تخييل العواطف و الانفعالات ، و لون يبدو في رسم الشخصيات ، و ليس هذه الألوان منفصلة ، و لكن أحدها يبرز في بعض المواقف و يظهر اللونين الآخرين " [2]

ا) قوة العرض و الإحياء :

و يقصد بهذا اللون، الكيفية أو الطريقة التي يتم من خلالها عرض الأحداث، و بث الحياة فيها حتى تقدّم في قالب يجعل المشاهد أو المتلقي يتفاعل معها فالتصوير" يلون أحداث القصة القرآنية فيزيل الجمود الذي يكتسي الحادثة سواء كانت مادية كالتنقل في المواقف و الزمان و المكان، أو داخلية نفسية من تقلب الأفكار و الخواطر و العواطف" [3] أي أن القرآن الكريم لا يقدّم القصة على شكل أخبار بل تكون مفعمة بالإحساس و الخيال فتكون شريط حيّ. فعرض القصة القرآنية تكون عبارة عن حلقات و مشاهد في سلسلة لها بداية و لها نهاية ، يتتبعها العقل و الوجدان معاً و لنتأمل كيف صورّ القرآن الكريم الأحداث في قصة قوم لوط عليه السلام :

---

[1] –أنظر : سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، ص 156.

[2]– انظر : المرجع نفسه ، ص 154.

[3] –انظر : الصورة الفنية في القصة القرآنية، بلحسيني نصيرة، ص 107.

- **المشهد الأول:**

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (78) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[1]

إن هذا السياق الكريم يصوّر مرضاً اجتماعياً قد شاع في عصر النبي لوط عليه السلام فيضع أمامنا بهذه العيّنة الفاسدة أو نقل المجتمع الفاسد ككل ، لأن ما نراه من وقاحة هذا القوم في إتيان الفاحشة و الجهر بها هي صورة تظهر لدى الأغلبية منهم ، ذلك أن " الفرد يكتسب من وجوده وسط الجمع قوة تشجعه على الاسترسال في ما كان يحجم عنه منفردا من الميول و الأهواء ، و هو لا يكبح جماح نفسه لأن الجماعة لا تسأل عن أفعالها كما يسأل الفرد ، و لاسيما إن شاعت تلك الأفعال بين جميع الأفراد " [2] و هذا ما يجعلنا ندرك بجلاء صعوبة الموقف الذي يتعرض له النبي الكريم ، و هو الفرد أمام جماعة من الفاسقين ، و يشتد الضيق و يتفاقم ثم يأتي :

- **المشهد الثاني :**

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[3]

فنشعر هنا أنه قد يسري في أنفسنا بعد ذلك الضغط ، و يكشف الملائكة عن أنفسهم و يؤكدون نجاته ، ثم يشيرون و يؤكدون أن عقاب الله سيكون صباحاً و ليس الصبح ببعيد.

---

[1] - سورة هود، الآيات، 77-79

[2] - انظر : الصورة الفنية في القصة القرآنية، بلحسيني نصيرة، ص 85.

[3] - سورة هود، الآيتان، 81-82.

فإنها كلمات تشد الأذان و تهز الوجدان حين تجتمع الرحمة و العذاب ، و يرسم مشهد المؤمنين في أذهاننا و هم يخطون للأمام دون التفات ، امتثالاً لله سبحانه و تعالى الذي قضى أمره في القوم الظالمين .

ويطل علينا المشهد الأخير من هذه القصة :

﴿**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ** ﴾[1] لاشك أنه أروع إنذار حملته هذه القصة للظالمين في كل مكان و زمان و إذا كانت مرسلة إلى مشركي مكة إلاّ أن هدفها خالد خلود الرسالة المحمدية .

فهو تصوير بارع للقضاء بالمجرمين، و تشخيص للنفوس البشرية مع المواقف التي تضعها فيعجز عنه التعبير في أسلوب آخر و لنا قصة قرآنية أخرى تظهر فيها المسحة التصويرية على وقائعها، ألا و هي قصة سيدنا نوح عليه السلام، و سنحاول إدراج بعض المشاهد منها:

- المشهد الثالث:

_قوله تعالى : ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36 (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38 (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ** ﴾[2] فيمثل هذا السياق الكريم سيدنا نوح عليه السلام و هو أمام أعيننا ، مشغول في صنع السفينة و هو يجتهد في تركيب ألواحها بسرعة ، و قومه يسخرون منه

[1] - سورة هود، الآيتان 81-82.

[2] - سورة هود، الآيات36-39.

من حين لآخر، و هو عليه السلام بإيمانه و إصراره كان يكمل عمله و كان يتوعدهم بانقلاب الآية حين يسخر منهم كما يسخرون .

و يرفع الستار من جديد على لمشهد الثاني : ﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[1] فلقد وقع أمر الله و انسابت المياه شيء فشيئاً ، و تلقى نوح عليه السلام الأمر من ربه بأن يحمل من كل حيوان زوج و يذهب لدعوة كل من آمن من أهله ولقد كان القلة من اتبعه إلى ركوب الفلك ، وسط دعواته و أذكاره.

- المشهد الرابع :

يقول عز وجل : ﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ** ﴾2

فهاهي ذي السفينة تصور أمام أعيننا وسط جبال من الأمواج و هي تعلو و تنخفض و نداء ابن النبي الكريم محاولا الخلاص، فنحس بعاطفة الأبوة التي تفجرت في قلب سيدنا نوح، و شفقته و جنانه على ابنه.

- المشهد الخامس :

و في هذا المشهد تظهر لنا قوة الله سبحانه و تعالى و جبروته إذ يقضي على أمة بأكملها في لحظة قصيرة ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [3] فتكتمل قدرة الله ، إذ تأخذ

[1] سورة هود ، الآيتان 40-41.
[2] سورة هود ، الآيتان 42-43.
[3] سورة هود، الآية 44.

الأرض لأمر ربها و تخضع له فامتصت الماء وتستقر السفينة على الجبل كأن شيئا لم يكن.

و إن إدراكنا لهذه النتائج ، لا و لن يكون لولا قوة العرض و الإحياء التي قامت بتحريك الجوامد و جعلت الصوامت تنطق ، فجعلتنا نحس أننا نعايش الحدث و أنّ أبطال القصة أمامنا، و ما هذا إلاّ بفضل أسلوب القرآن الكريم الفريد و المتميز في تصويره و في تعبيره على حد سواء .

ب) إسهام الزمان و المكان في تصوير أحداث القصة :

إن للزمن مكانة هامة في تقديم الأحداث و عرضها و تقديمها في صورة تقرب المشهد و توضحه فهو يعطي صبغة خاصة تبين الوقت الذي بدوره يسهم في تنمية الحدث و " لهذا تقوم القصة الناجحة على ملاحظة العنصر الزمني ملاحظة دقيقة واعية ، حيث تمسك الخيوط الزمنية بكل جزئياتها و تحركها بميقات معلوم فتطلع بها في الوقت الذي تستدعيه الأحوال ، كما يبعدها عن مجال الرؤية في الوقت المناسب الذي يستدعي اختفاءها مؤقتاً أو مؤكداً "[1] و القصص القرآني في تعامله مع الزمن يجعله بمثابة الآلة التي تحرك الأحداث و تحملها ، و هذا يشمل كل القصص القرآنية ولنا أن نستدل بقصة أهل الكهف مثلا التي نجد فيها أن الزمن قد رافق الأحداث خطوة بخطوة ومن بدايتها إلى نهايتها ونحن على علم بتلك القصة التي كان أبطالها فتية اعتزلوا قومهم و لجؤا إلى الكهف ، فيستسلمون للنوم ما يزيد عن ثلاثمائة سنة ، و القرآن الكريم يصوّر لنا بالتفصيل كيف تدخل الزمن في ما يحدث لهم في أرجاء الكهف فيقول تعالى ﴿ **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (17) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم**

[1] -انظر : القصص القرآني في منطوقه و مفهومه، ص82-83.

بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾[1] فكما يبدو ، هؤلاء الفتية يحيّون مع الزمن وذلك من خلال مكوثهم في الكهف إذ تطلع الشمس عن الكهف يميناً ، و تقرضهم ذات اليمين و ذات الشمال حين تغرب ، وهم في حالة تقلب كما يتقلب النائم ، في صورة مخيفة ، فصح التعبير الجليل عن درجتها [لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً و لملئت منهم رعباً] .

أما إذا انتقلنا إلى وصف المكان فإننا نجد أن النظم الحكيم قد اهتم بذلك و الأمثلة كثيرة منها نذكر المكانين اللذين حصلت فيهما معجزة الإسراء فيقول عز وجل :﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[2] فلقد كان مسرى الرسول عليه الصلاة و السلام بين مسجدين المسجد الحرام بمكة المكرمة و المسجد الأقصى و قد حدد الزمن بأنه في الليل ، و ذكره للزمن يساهم في رسم معالم الصورة بالإضافة أنه لم يستغني عن ذكر المكان فحدّده لأن الصورة قد" تفتقد هذا اللون الذي يشيعه ذكر المسجدين الحرامين في النفوس من مشاعر الجلال و الإعظام، فتتشكل منهما جميعاً أحاسيس تشبع في نفوس المؤمنين السعادة و الرضى و تبعث في قلوب الكافرين والمنافقين الحسرة و الكمد "[3]

و بهذا نستخلص أن ذكر الزمان و المكان هو من أهم العوامل التي يعتمد عليها في بناء القصة في القرآن الحكيم في تحريك الأحداث و تلوينها حيث تشد النفوس إليها.

---

[1] - سورة الكهف، الآيتان 17-18.

[2] - سورة الإسراء، الآية 1.

[3] - انظر : القصص القرآني في منطوقه و مفهومه ، ص 92.

ج) تصوير العواطف و الانفعالات :

و المقصود هو تصوير ووصف ما يعتري نفوس الشخصيات من أحاسيس بمختلف أنواعها من عواطف الغضب و الكره و الحب و الحزن و القلق.... الخ التي يظهرها التعبير القرآني حتى يحس المتلقي بكل ما مرّ بتلك الشخصيات ، وما هذا إلا بفضل دقة التصوير و روعة التعبير فمثلاً إخبار المولى عز وجل عن مولد الأنثى عند أهل الجاهلية و ما يصيبهم من كربّ و رغبة في التخلص منها لأنها حسبهم تجلب العار ، فيدّسونها حية في التراب فعبّر عن هذا الشعور النفسي بأسلوب تصويري رفيع فيقول عز وجل : ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [1] فلقد صوّر لنا كراهية من حوله إذا بشر بولادة أنثى فيمتلأ قلبه حزناً و غماً ثم يصور لنا الحيرة التي تراوده و تجول بخاطره بقوله : " أيمسكه على هون أم يدسه في التراب " أيبقيها حية على ذّل و هوان ، أم يدفنها و هي حية في التراب ؟ و هذا تعبير ليبصر المتلقي و يدرك مدى الشدة و العصبية.

د) رسم الشخصيات :

إذا كانت الصورة ترسم لنا العواطف و الانفعالات ، فهي أيضاً تساهم في رسم الشخصية في القصة رسماً فنياً ، فتنقل من أبعادها و حركاتها لأن القصة القرآنية تتناول الشخصية في موقف معين و تتبع تحركاتها بدقة و تحدد نوعيتها من خلال عرضها لها كما أننا ندرك أن ميزة القصص القرآني هو وضع الشخصية في مواقف مختلفة و متجددة في المسار القصصي الذي ألمت به من كل الجوانب لأن نجاح القصة مقاس بمدى الأثر في المتلقي و كنموذج للشخصيات المرسومة في القصة القرآنية ، شخصية سيدنا موسى عليه السلام التي أبدع التعبير القرآني في إخراجها لنا حتى بدت

[1] سورة النحل، الآيتان 58-59.

مكتملة البناء و الملامح يقول عز وجل : ﴿ **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ(15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾[1] فمن خلال هذه الواقعة يبين لنا القرآن الكريم الطابع العصبي في شخصية موسى عليه السلام و سرعة انفعاله فهو يظهر سريع الاندفاع في نصرة الإسرائيلي و عنيف مع الآخر ، وسريع التوبة و الرجوع إلى الله و معاتبة النفس ، مما يبرز لنا طيبة قلبه و صفاءه .

ثم يأتي اليوم الموالي ، و يخرج سيدنا موسى عليه السلام إلى المدينة يتحسس خيفة من افتضاح امره ، ليجد نفسه مرة أخرى في موقف مماثل لما مرّ به ، فيصوّر القرآن الكريم هذه الحادثة : ﴿ **فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ (18) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ** ﴾[2] و حتماً نلاحظ أن الطبيعة الانفعالية مازالت تسيطر على النبي موسى عليه السلام فترسم شخصيته بسمات تجعله بمثابة الزعيم القوي الذي يندفع بحدة الطبع و سرعة الانفعال ، وربما هذه السمات التي زادت في حظ نجاحه .

ه) تصوير مشاهد يوم القيامة :

تعتبر مشاهد يوم القيامة من أبرز مواضيع التصوير في القرآن الكريم ،فيعرض لنا مشاهد البعث و الحساب و النعيم و العذاب عرضاً مصوراً ، حياً شاخصاً تتحرك له

[1]- سورة القصص، الآيات:14-16.

[2] -سورة القصص، الآيات:18-19

القلوب ، و تقشعر منه الأبدان، و يسري الفزع في النفوس مرة ، و الاطمئنان مرة أخرى و يصبح عالم الآخرة و كأنه أمامنا فالمؤمنون لهم الجنة ، و أما الكافرون فلهم النار و هذه حقيقة تعرض في صور و مشاهد بطرق مختلفة منها قوله تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (4) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا** ﴾[1]

فتقطع الإنسانية هذه الرحلة الطويلة في لحظات ، فتبدأ قبل خلق الإنسان و حين لم يكن شيئاً مذكوراً و تنتهي في الجنة أو النار و تحمل خلالها الحياة و أحوالها.

ومرة ينتقل من الوصف إلى الحوار ، فيّخيل لنا المشهد حاضراً و أننا نعيشه بكل ما فيه و لنتأمل قوله تعالى : ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22) وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ** ﴾[2] فلقد قرب الصورة وجعلنا نحيا اللحظة و مرة يتحدث عن الدنيا و كأنها مضت وانتهى الأمر ، وفي الآخرة كأنها الحاضر و ذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[3]

---

[1]- سورة الإنسان،الآيات،1-6.

[2]- سورة ق،الآيات،19-26

[3]-سورة الزمر،الآية،71.

وبهذه الصورة تلتقي الألوان التعبيرية المختلفة ولكنها بهدف واحد هو استحضار المشهد و إحياؤه،وكأنه محسوس وهذا دون شك له تأثير في النفس البشرية .

ومن أهوال يوم القيامة التي صوّرها النظم الحكيم قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**﴾[1] لاشك أن يوم القيامة هو يوم عظيم تهتز له كل نفس فهو في غاية الهول و تحدث فيه أشياء مخيفة فذهول كل مرضعة عما أرضعت ، هو تصوير لقمة الشدة ففي وقت المخاوف و المفازع يفرّ الإنسان إلى أقربائه ، وذلك بحثا عن الأمن و الطمأنينة،ويكون ذلك إلى الأبوين عامة و إلى الأم خاصة لأنها منبع الحنان و العطف أكثر من الأب وعلى الرغم من هذه العلاقة بين الأم و ابنها ، إلا أنها تذهل يوم القيامة وذلك من شدة الفزع " وتضع كل ذات الحمل حملها" ، وهذه صورة أخرى لفزع أكبر إذ تسقط الحامل حملها في هذا اليوم المريب،" و ترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد" و هذه صورة لحالة الناس وهم يتمايلون ذات اليمين وذات الشمال وكأنهم سكارى لأن السكران هو الذي لا يدري ماذا يصنع و هذا حالهم.

وهذه صورة أخرى من مشاهد يوم القيامة، قال تعالى : ﴿ **وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾[2] فلفظة حشرناهم تعبر عن هول الموقف وذلك من خلال حشر الناس كلهم في مكان واحد دون استثناء.

ومن سمات المشاهد المصوّرة لهول يوم القيامة ، أنها لا تكاد تخلو من اشتراك الأحياء في المشهد ،فمرة النفوس الآدمية، ومرة المخلوقات الحيوانية ومرة أفراد الطبيعة وفي بعض الأحيان نجدها مشتركة بينهم ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا**

[1] -سورة الحج الآيات1-2.

[2] -سورة الكهف الآية 47.

النُّجُومُ انكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6)وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12)وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾[1] وبهذه الآيات الكريمة و التي تعطي صورة شاملة حتى تجعلنا ندرك بأن الهول و الفزع يشمل الأرض و السماء ،و الحيوان ، و الإنسان، و الصغار و الكبار، و الجنة و النار،وكل هذا في موقف الانتظار بالفصل.

ومن المشاهد التي تصور النعيم و العذاب بعد البعث و الحساب و لنتأمل قوله عز وجل: **﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾**[2] فهذه صورة توحي بالسخرية و التهكم على هؤلاء الجاحدين الذين يكنزون الذهب و الفضة و هذه الصورة هي تجسيم للعذاب المادي أيضا في مثل قوله تعالى : **﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (29) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (30) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (31) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾** وهو تصوير للنعيم الذي تتمتع به أجسام أهل الجنة و أرواحهم .

و) تصوير أسلوب الحوار: و الحوار يقصد ما يصدر عن الشخصيات من كلام ، و يكون مطولاً أو مقصراً ، حسب ما يقتضيه الموقف ،و الحوار يرد محاكيا على لسان الشخصيات بعد لفظ " قال" و الحوار ينقل المشهد حياً و في ثياب حقيقة ومن صور الحوار القرآني ما دار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام ، و أبيه يقول تعالى : **﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا**

[1] -سورة التكوير،الأيات1-14.
[2] - سورة التوبة،الأيات34-35.

يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [1] وهذا الحوار جاء عندما أراد أن ينصح أباه و يعظه فيما كان فيه من الخطأ العظيم، فلقد رتّب كلامه معه في أحسن ترتيب مع استعماله للمجاملة و اللطف و الأدب الجميل ، و الخلق الحسن ثم يردّ الوالد : ﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ** ...﴾ [2] فبعد المناصحة الجميلة بالملاطفات ، أقبل عليه الوالد بنوع من الفظاظة بالكفر و العناد .فناداه باسمه و لم يقابله كما ناداه هو (يا أبت) بـــ (يا بني) ، بل تعجب من رغبة إبراهيم عن في آلهته ثم يقول : ﴿... **لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا** ﴾ إنه التهديد بالرجم ، أي أنه يريد أن يشتمه و يذمه و لكن الابن كان باراً به فيرد : ﴿ **قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا** ﴾ [3] و هذا سلام الوداع و لكنه متعهد بالاستغفار لأبيه الذي يظل دوما أباه مهما كان كافرا و هو يتمنى الإجابة من الله .

و بهذا يمكن أن نستخلص أن الحوار هو تسجيل لإنفعال الطرفين ، وترجمة لما في الصدور من حالات.

ز) تصوير المناظر الطبيعية و و الظواهر الكونية:

لقد خلق الله سبحانه و تعالى الإنسان و خلق هذا الكون الفسيح بما فيه من سموات ، وأرض،و كواكب و حيوانات و نباتات،بل خلق ما نعلم وما لا نعلم و كل هذا الإبداع في خلقه، هو أكبر دليل على عظمته وقدرته، و هي مسخرة للحياة، و لكن مع مرور الزمن بات أكثر الناس غافلون على إدراك جمالها،

[1] - سورة مريم،الآيات،41-45.

[2] – سورة مريم،الآية،46.

[3] – سورة مريم ،الآية،47 .

وعظمتها و دلالتها، وما هذا إلا نابع عن الانشغال بأمور العيش و المعاش .و لأجل ذلك كان المولى عز و جل ، يدعونا دوماً إلى إعادة النظر و التأمل و التدبر فيها فلا شك أننا مستدلون منها على بديع صنع الله، و سلطانه،فنعتبر من ذلك و ندرك بأننا مجرد مخلوقات ضعيفة وسط هذا الكون العجيب المسّير بأمر الله و يظهر هذت من خلال قوله عز وجل :﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [1] أي أنه إذا أراد شيء فما هو بصعب بل بأسهل ما يمكن أن يكون سبحانه حكمه عدل بين البشر و يقول أيضاً لدلالة على قدرته : ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ** ﴾[2] و التصوير القرآني يخرج المعاني في أجمل صورة فتبدو جديدة ، و كأننا نتعرف عليها لأول مرة و يقول عز من قائل :﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [3] فكل من وهب له الله نعمة العقل التي أكرمه بها عن سائر مخلوقاته ليتدبر في أمور دينه و دنياه فإنه حتماً سوف يجمع الدلائل على وجود ، و قدرة، و وحدانية المولى عز وجل إذ ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ..﴾[4]فلابد لهذا الكون من إله واحد مقتدر يسيّر هذا الكون، فهي دلائل قائمة في الحياة الدنيا إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ، فمن خلق السماوات و الأرض، إلى تعاقب الليل و النهار ، إلى الفلك التي تجري في

[1] –سورة يس،الآية 82.

[2] –سورة الملك، الآيتان3–4

[3] – سورة البقرة، الآية 164.

[4] –سورة الأنبياء، الآية22.

البحر و ينطبق هذا وفق قوله عز وجل: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [1] هي مشاهد يتدبرها أصحاب العقول و البصائر.

و يظل التصوير القرآني يعرض هذه المناظر الطبيعية و الظواهر الكونية مرّات ومرّات، و بطرق مختلفة ، وبأوصاف عدة، و من ذلك قوله تعالى : ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾[2] فهذه الآيات الكريمة تصف لنا مشهد من مشاهد الطبيعة التي أبدعها الله، فالسموات مرفوعة بقدرته جلّ و علا بلا عمد، وهذا لم يتوصل إليه الإنسان في عملية البناء مثلا فهذه السماوات باقية على حالها منذ خلق الوجود بينما الأجيال تتوالد و تتعاقب و تفنى، وسخر الشمس و القمر في نظام دقيق محكم، ومد الأرض و جعلها واسعة و مقسمة إلى أجزاء فمنها ماهو وصالح للزراعة و منها ماهو غير صالح و منها الرملية ، والسوداء، والحمراء...الخ و اختلافها باختلاف منتوجها فهذا عنب و هذا أرز و كلّها تسقى بماء واحد فقال عز وجل : ﴿ **يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ** ﴾[3] وهذا يدل على أنه بالرغم من هذا الاختلاف في أصناف الثمرات و أذواقها إلاّ أنها تسقى بماء واحد و ذلك لاختلاف الناس و انجذابهم لنوع دون آخر و تفضيل بعضها على بعض.

---

[1] – سورة الجاثية، الآية12.

[2] –سورة الرعد، الآيات،2–4.

[3] – سورة الرعد، الآية4.

إن هذه لمحة بسيطة عن إبداع الخالق في خلقه سبحانه بعدد ما ذكره الذاكرون و بعدد ما غفل عنه الغافلون .

ح) تصوير المعاني الذهنية :

و المقصود بتصوير المعاني الذهنية هو إخراج تلك الأوصاف المنسوجة في الخيال و في الروح إلى العالم المجسد أو المحسوس وذلك بغية تقريب المعنى و تبسيطه ليفهمه عامة الناس، و قدرة البيان الإلهي يمّد إلى مالا يلمس ، قال تعالى :" ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾ [1] وكأن الحق هو كرة ،قذفت لضرب الباطل .

كذلك عند بيان ضياع أعمال الكافرين، وهم لا يملكون حيلة لردها فيقول عز وجل: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾[2] ، فالخيال يوحي لنا بصورة الهباء المتناثر، و الذي لا يوجد له سبيل لجمعه إذا فرقته الرياح ونثرته في كل مكان ومن أمثلة هذا التصوير كذلك قوله تعالى في وصفه ما آلت له تلك القرية التي كفّر أهلها بنعم الله و لم يشكروا فقال عز وجل : ﴿: **فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾[3] فمن خلال هذا السياق القرآني الكريم صوّر الجوع و الخوف لباسان و طعمان يتذوقان.

و هذا تصوير آخر لله عز وجل عندما أراد أن يصّور ذلك الذي ينقلب على عقبيه بعدما أتته الآيات البينات فصوره كما يلي: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾[4] فان استخدام لفظة "انسلخ" تدل على شدة الالتصاق و أن التملّص يكون بعنف، و

[1] –سورة الأنبياء، الآية18.

[2] – سورة الفرقان، الآية23.

[3] –سورة النحل،الآية،112.

[4] – سورة الأعراف،الآيتان 175–176.

كان تصوير البعد عن آيات الله بصورة محسوسة أي بشكل مادي حتى يتضح المعنى و التصوير القرآني شامل لا محالة لم يغفل عن شيء و لنا أن نعرض مثالا عن تصويره للمؤمن و الكافر، فالإيمان له حجج قوية و دعائم واضحة الأهداف في مقابل ذلك حجج الكفر ملفقة و غير مقنعة لذوي العقول الراجحة و هذه المعاني عرضها الذكر الحكيم في صورة مادية ، فقال تعالى : " أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ...." [1] فكأن الإيمان بناء لديه أسس و أعمدة تحمله ولا شك أنها " تقوى الله ورضوانه ، وكأن الكفر بناء أيضاً ، و لكنه بناء على مقربة من الأرض مجروفة فلا يثبت عليها بناء، فتنهار هاوية في نار جهنم " [2] وبهذا التعبير حتى يوضح الفرق الشاسع بين الإيمان و الكفر .

ط) تصوير الحالات النفسية :

و معنى تصوير الحالات النفسية هو تصوير مختلف العواطف و الأحاسيس التي تعتري نفوس الشخصيات ،يظهرها التعبير القرآني إذ " تستخدم الألفاظ للتعبير عن شتى المقاصد و الأغراض ، و للإعراب عن أدق مشاعر النفس الإنسانية و خلجاتها ،وعن تصوير خبايا هذه النفس و الكشف عن مكنوناتها و تؤدي الألفاظ هذه الوظيفة من خلال السياق " [1] و نستدل على هذه المعاني بقوله عز وجل : ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾[3] هي أربع صور و مشاهد متوالية تصور مشاعر الظالمين يوم الحساب و هي الرهبة و الفزع،و الاستسلام...الخ و كذلك تصوير المولى عز وجل عن الذي يبشر بالأنثى في عهد الجاهلية لأنها كانت تجلب العار حسبهم فقال :

---

[1] – انظر:سيد قطب، التصوير الفني في القرآن،ص59.

[2] – نظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي ،في ظلال القرآن في الميزان،شركة الشهاب،الجزائر،ط1،سنة1986،ص105.

[3] – سورة إبراهيم،الآيتان 42-43.

﴿ **و إذا بشر أحدكم بالأنثى ظل وجهه مسوداً و هو كظيم** ﴾[1] يتوارى من القوم من سوء ما بشر به " فهو يصف عن مدى ضيق صدره ، وحزنه عندما علم أنه رزق بأنثى و هو يتخفى من الناس لأنهم يتحدثون عنه وعن مصابه .

و لنا أيضا صورة أخرى تعبر عن الحالة النفسية للظالم يوم الجزاء ، و يكون من الخاسرين و النادمين فيقول عز و جل : ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27)يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**﴾[2] فها هو الظالم يعض على يديه من شدة الندم على التفريط في دينه و ضياع فرصته حين انصرف عن الرسول الله (ص) و ولى عن أمره بل و اتخذ من الشيطان سبيلا له و لكنه خذله.

و هاهي صورة أخرى تبرز لنا مدى الحيرة التي تراود من أشرك بالله ، و أحاسيسه و عواطفه مشتة بين الهدى و الظلال ، فترسم هذه الصورة المتخيلة بقوله عز و جل :

﴿ **قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ...**﴾[3] و هي صورة توضح لنا أن إنسان حائر في تلبية دعوة الشياطين الذين يستهوينه و يغرينه بالبعد عن الله فئة المؤمنين الذين يدعونه إلى دين الله و هو لا يدري إلى أين يتجه.

و بهذا يكون تصوير الحالات النفسية قد وضّح ما يجول في نفسية الإنسان عبر مواقف مختلفة .

و مما سبق نستخلص أن القصص القرآني قد صور أبعاد مهمة في الشخصية سواء كانت شخصية الأنبياء أو شخصيات أخرى من البشر ، فيقوم برسمها بكل دقة وكان إخراجها في قمة الإبداع و الإعجاز على مماثلته لنخلص في الأخير إلى القول بأن هذه

---

[1] – سورة النحل، الآية 58.

[2] – سورة الفرقان،الآية 28.

[3] – سورة الأنعام،الأية71.

الألوان التصويرية التي انفرد بها القصص القرآني قد كان لها فضل كبير في إضفاء نور على زوايا مختلفة من أحداث و صراعات و أشخاص ...الخ لأنه غاص في أعماق النفوس، و غوامض الأمور فلقد سجل وقائع الأمم الغابرة و بعثها من جديد بل و يجوز القول أنه أحياها في حاضرنا و رسم شخصياتها و هذا لكي نعتبر نحن اليوم و غيرنا غداً.

و يجب أن ينظر إلى هذه القصص على أنها منهج تربوي و أنها سراج منير لسبيل الهدى لأنها قصص الإنسان في مختلف أحواله و سلوكاته، وهي دعوة شاملة للحق و التفكير فيه لناس كافة و كل هذا كان بأسلوب جميل معجز يتسق فيه الفن بالدين مع التركيز أكثر على الدين لأنه الغاية التي من أجلها كانت هذه القصص ، و في الأخير تبقى الحرية لكل فرد في الاستجابة أو الإعراض يقول عز من قائل : ﴿ **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا** ﴾ [1] .

[1] – سورة الإسراء،الآية 84.

خامساً: أهداف التصوير الفني

لقد سلّطت نظرية التصوير الفني الضوء على بعض النسق القرآني العجيب ، فكان من أهم ما أدّته :

أولا: تقريب المعاني إلى العقل و القلب معاً،و الاستزادة في الإقناع بالتأثير الحسي الوجداني ، ذلك لأن دلالة المعنى المجرد أقل بكثير من دلالة التصوير ، يقول" **السيد قطب** " في هذا : " إن المعاني في الطريقة الأولى ، تخاطب الذهن و الوعي ، و تصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة... و في الطريقة الثانية ، تخاطب الحس و الوجدان ، و تصل إلى النفس من منافذَ شتّى من الحواس بالتخيل ، و من الوجدان المنفعل بالأصداء و الأضواء ، و يكون الذهن منفذاً واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس ،لا منفذها الوحيد " [1]

ثانيا: الطريقة التصويرية وجها من وجوه إعجاز القرآن ، فرغم أنّ التصوير متأت للبشر إلاّ أنه في القرآن يبلغ مستوى التفرد و الإعجاز فمن " طبيعة الإنسان أنه لا يستطيع أن يطوّع ألفاظ اللغة لكل ما يتصوره من دقائق المعاني الأخيلة ، فهو كثيراً ما يضطر أن ينزل عن بساط خياله المحلّق، لحاقاَ بكلمة هي دون خياله الحالي ، و لكنّه لا يجد من حوله سواها ، فيضطر أن يهبط إلى مستواها . و بذلك يفسد سير فكر تصوراته ، غير أنّ القرآن لا يعجزه أن تكون الكلمة دائما في مستوى المعنى المراد على أدق وجه " [2] فألفاظ القرآن الكريم دوماً بديعة التصوير ، كثيفة الدلالة وهي مفاتيح لصورة ، بل إنها تؤدي الصورة في أحيان كثيرة .

ثالثا: إظهار الأغراض بكل دقة وروّعة ، و مخاطبة حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية : و قمة الجمال لشيء تكمن في البنية التكوينية له ، و هذه البنية تتألف من الأمور التالية :

---

[1] –السيد قطب، التصوير الفني في القرآن ،ص 242

[2] –البوطي(محمد سعيد رمضان)من روائع القرآن الكريم ،تأملات علمية و أدبية في كتاب الله ، مؤسسة الرسالة ،بيروت،1996،ص 177.

جمال العناصر المكوّنة له ، انسجام هذه العناصر وعدم عناصرها ، " جمال المعنى و نبل المقصد الذي تعبر عنه هذه التركيبة "[1] و هو ما يؤديه التصوير الفني القرآني .

رابعا: انسجام إيجاز التعبير ، و اختصار المسافات الطويلة فالقليل يؤدي الكثير ، بالاعتماد على عمل المخيلة و قانون الصور المترابطة و ما تؤديه من معاني كثيفة تحضر دفعة واحدة و تظهر أمام المتلقي إذ تثيرها كلمة أو صورة ، و بذلك يشارك المتلقي بفكره الإبداعي و مخزون ذكرياته ، في تمثيل أبعاد الصورة ، و بتالي يتحقق التأثير المطلوب ، فالمتلقي يصبح مشاركاً و هو ما يفسر الإيجاز المقصود في القرآن الكريم .

خامسا : مما لا شك فيه أن التصوير هو وسيلة تفيد تقريب الحقائق الكلية في صور جزئية ، تمكن الإدراك الإنساني المحدود من الإستعاب و خاصة إذا تعلق الأمر بالأمور الغيبية.

سادسا : الاستمتاع بالجمال الفني في كتاب الله فالقرآن الكريم كتاب معجز يحوي كل شيء و هذا ينجم عن دقة التصوير " و هو أمر يصعب شرحه لأنّه يدرك بالإحساس ، و إنّما مثل ذلك كمن يفتتن بالوجه الجميل ، فتكون نظرته إليه كلاما نفسياً لا يمكن بحال توضيحه مستوفياً بالنطق"[2]

[1] البوطي(محمد سعيد رمضان) من روائع القرآن الكريم، المرجع السابق.

[2] –مصطفى الصادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ص222.

سادساً: أهمية ا لصورة ا لفنية و وظيفتها :

لعّل الحديث عن أهمية الصورة ووظيفتها ، يستدعي أن نشير إلى ثنائية اللفظ و المعنى التي شغلت النقاد و الدارسين عبر العصور الأدبية جميعها ففضّل بعضهم اللفظ عن المعنى، بتقديم اللفظ ، و آخرون قدّموا المعنى ، و غيرهم حاول التوفيق بين الأمرين ، و إن الهدف الأسمى لكل فنان هو أن يبلغ عمله أفئدة المتلقين فتاهتز لهم نفوسهم و يحسون ما أحسه ،لذا يسعى دائما إلى نقل تجربتهم إليهم كونه رحالة دائم في عالم الروح ، فهو يرى أوسع من أفق رؤيتهم و بذلك تكون مهمته هي نقل تجربته للغير ، كونه إنسان كغيره ، واعيا و له أسلوب خاص به .

فا**لجاحظ** ردّ البراعة و الجودة إلى الصياغة و التصوير ، و قللّ من شأن المعاني فهي " مطروحة في الطريق يعرفها كلّ الناس "[1] ثم جاء **ابن قتيبة** ليقسم الشعر إلى أقسام ، فحددّها بقسم " حسن لفظه و معناه ، و قسم حسن لفظه دون معناه ، و قسم حسن معناه دون لفظه و قسم ساء لفظه و معناه "[2]

و جاء **عبد القاهر الجرجاني** ليضع نظرية النظم ، التي تعدّ بحقّ نظرية متميزة في باب اللفظ و المعنى ، و قد لخّص نظريته بقوله : " و جملة القول أنه كما لا تكون الفضة أو الذهب خاتما أو أسوارا أو غيرهما من أصناف الحليّ بأنفسهما ، و لكن بما يحدث فيهما من الصورة ، كذلك لا تكون الكلمة المفردة التي هي أسماء ، و أفعال ، و حروف شعراً ، من غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخّي معاني النحو و أحكامه "[3] و لقد استطاع هذا الناقد الكبير أن يبلغ القمة بخروجه على المألوف و السطحي بوضعه نظرية النظّم الجامعة لثنائية اللفظ و المعنى ، و لتحديد معالم الصورة الفنية و محدداتها .

---

[1] -الجاحظ، الحيوان، ص 13

[2]- ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، ص 74-79

[3]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 315

إن المعنى هو " الفكرة السابقة على الألفاظ من حيث وجودها و اكتمالها في الذهن ، و البلاغة في بلوغ القصد و الغاية "[1] فالشاعر يعبّر عن معانيه و أفكاره تعبيراً متميزاً ، بما يحدثه في هذه المعاني و الأفكار من صياغة خاصة به، و هو في ذلك حاله حال أي صانع من الصنّاع في الحرف و المهن السائدة فهؤلاء يختلفون في أساليب عملهم ، مع أنهم متفقون على الرغبة في إخراج أعمالهم بصورة خلاقة مدهشة.

و تعدّ الصورة الفنية طريقة خاصة من طرق التعبير ، أو وجها من أوجه الدلالة ، لذلك فإن أهميتها تكمن في ما تحدثه في المعاني من خصوصية و تأثير ، مع العلم أن الصورة لن تغير طبيعة المعنى أو مدلولاته ، بل يتم التغير في طريقة العرض، و شكله، و في كيفية التقديم فهي تعمل على تحسين المعنى و تزيينه .

إذن فالصورة الفنية هي مجموعة العلائق الحسيّة و المعنويّة المتداخلة التي تضمن حسّاً وجدانياً ، و إيقاعيا داخلياً ، يوظف فيها الشاعر العلاقة بين الأصوات و المعاني و الموسيقى لذلك لابّد للشاعر أن يتمتع بحساسيّة مفرطة لأصوات اللغة ، و يمتلك قدرة فائقة على الملائمة بين الصوت و المعنى ، فيعرف كيف يوازن بين الأصوات و الأفكار من جهة و بين الأحداث المصوّرة من جهة أخرى.

و إن الصورة لابّد أن تعبر عن تجربة الشاعر الشعورية الذاتية ، و ما الجناس والتضاد، و التجسيم و التكرار إلا صور و سمات للإيقاع الشعري في البيت ، و من ثمة في القصيدة فقد يستثمر الشاعر التكرار مثلا ليضفي على البيت أو القصيدة نغمة إيقاعية تخدم الصورة الكّلية للعمل الفني. ما مدى تأثير هذه الخصوصيات في المتلقي و إلى أي حدّ يمكن للمتلقي أن يستجيب لهذه الخصوصيات التي تحدثها الصورة الفنية في المعنى ؟ هي أسئلة كثيرة يمكن أن يطرحها الباحث للاستدلال على أهمية الصورة الفنية و الإجابة

[1] - جابر عصفور، الصورة الفنية، ص 319

عن هذه الأسئلة هي بحاجة إلى الغوص في أعماق الماضي، لمعرفة أهمية الصورة و أبعادها.

فـــعبد القاهر الجرجاني جاء ليتلقف هذه الفكرة ، لكنّه بسطها و ذلك بردّه للإعجاب بالمجاز إلى الجانب الفطري من النفس الإنسانية ، فانتهى إلى أنّ المعنى عندما يرد على المتلقي مجرّداً ، فإنه لا يثير لديه فضولاً أو شوقاً ، " أمّا إذا ورد المعنى عن طريق التمثيل ، فإنه يرد إلى المتلقي بشكل غير مباشر ، لا يتجلى و يتضح إلا بطول التفكير ، و تحريك الخاطر ، و كلما كان التمثيل ألطف كان إمتاعه على المتلقي أكثر ، و إباؤه أظهر ....."[1]

إذ يجوز لنا القول أن أهمية الصورة الفنية تتمثل في مدى قدرتها على لفت انتباه المتلقي، و في مدى استفزازها لتفاعل هذا المتلقي مع المعنى الذي تعرضه الصورة . و الصورة الفنية التي تقوم على التشبيه أو الاستعارة أو الرمز ليست مجرد نقل للمعنى أو تقرير أنّ شيئاً يشبه آخر، بل هي مجموع الانفعالات و المشاعر التي تدور في نفسية الشاعر و هذا يدل على أن الصورة لابّد أن تنقل حالة نفسية ، لتصبح أداة لخلق خيال منبثق من تجربة شعورية ، تترجم في عملية خلق فني إبداعي ، و بناءاً على هذا فإن أهمية الصورة تنبع من طريقتها الخاصة في تقديم المعنى ، و في مدى تأثيرها على المتلقي .

و إن الصورة الفنية تنقل معنى، و تصوّر حالة نفسية وجدانية ، و مدام الأمر كذلك ، فإن من أهم وظائفها النفسية و الوظيفة المعنوية فالشاعر يعمل على تصوير تجربته و من ثم إيصالها إلى المتلقي لأنه يعيش تجربة فيها مزيج من الانفعالات و الأحاسيس التي تحتاج أن تجسد و **جابر عصفور** يرى أن " الصورة تؤدي مهمة الشرح و ا لإيضاح و هما مرحلتان تسبقان عملية الإقناع ، فمن أراد أن يقنع الآخر بمعنى ما عليه في البداية أن

[1] - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 41

يشرحه له و يوضحه بطريقة تغريه بتصديقه و قبوله "[2] ومن خلال رأيه نرى أن الصورة الفنية لا تكتفي بوظيفة الشرح و التوضيح فحسب لكي تؤدي غرضها و هو الإقناع بل تحقق نفس الغاية عن طريق المبالغة في المعنى.

[2]- جابر عصفور ، الصورة الفنية ، ص 404

الفصل الثاني

لقد اختصت القصة القرآنية بجمال ألفاظها ، وعجيب أسلوبها و حسن بيانها ، و قوة معانيها ، على الرغم من تشعب مقاصدها من تهذيب للطباع ، ودعوة للخير ، ونشر للحكمة و قد حوت الكثير من أخبار الرسل ، و أنباء الشعوب و الأقوام ، و على قسط من الوعظ و الإرشاد في غاية التفنن و الإحكام ، و لقد تحققت كل تلك الغايات بلفظ فصيح و نظم بليغ الكشف عن جانب من جوانب الإعجاز البلاغي للقصة القرآنية متمثلا في التصوير الفني ، لعلها تظفر بشيء من لؤلؤها و جوهرها البرّاق.

وبما أن قصص القرآن تناولت ما يزيد عن عشرين قصة قد وقع الاختيار على قصة مريم عليها السلام و هي المرأة البتول التي خصها المولى عز و جل بسورة مستقلة في القرآن الكريم و متى هيء لنفس المؤمن تذوق هذا الجمال و تمثله و إدراك تلك القيم ، دل ذلك على قدرتها على كشف الغوا مض فكما يقول **عبد القاهر الجرجاني** : « بقدر ما تكون له ألمعية يقوى معها على الغامض و يصل بها إلى الخفي »[1]

و لعل ما يميز سورة مريم أنها من طراز رفيع في تعبيرها و ألفاظها و أدائها فتسري في النفس سريان الدم في العروق و تجري برقتها في القلب جريان الروح في الجسد و هي من السور المكية التي في الغالب تحمل طابع التهديد و الإنذار إلاّ أن أسلوبها كان لطيفاً و ممتعاً و لهذا قال **خالد ابن معدان** : " سورة يوسف و مريم مما يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة "[2]

و مما هو معلوم أن مريم عليها السلام لما ولدت ،جعلتها أمها محررة تخدم بيت المقدس و أنه كفلها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام زوج أختها و اتخذ لها محراباً و هو المكان الشريف من المسجد لا يدخله أحد إلاّ هو و أنها لما بلغت ، اجتهدت في العبادة

[1] -عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز مكتبة القاهرة ، ط 2،1961 ، ص 293-296.

[2] -انظر: بالحسيني نصيرة، الصورة الفنية في القصة القرآنية ، رسالة لنيل شهادة الماجستير، كلية الأدب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية ، تلمسان ، عام 2005-2006.

و لم يكن لها مثيل في ذلك الزمان في فنون العبادات و أنها بشرتها الملائكة باصطفاء الله لها و بأنه سيهب لها ولداً زكيا و يكون نبياً كريماً و مؤيداً بمعجزات ، فتعجبت من وجود ولد من غير والد لأنها لم تكن متزوجة فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على كل شيء و فعّال لما يريد فسلمت الأمر لله و علمت أن في هذا محنة عظيمة لها و أن الناس سيتكلمون عنها فهّم لا يعلمون حقيقة الأمر، بل ينظرون إلى ظاهر الحال بلا تعقل و لا تدبر .

وكانت البداية في قوله تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا(16) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابً**﴾أي أنها انفردت وحدها شرقي المسجد الأقصى ، فبعث الله إليها الروح الأمين – **جبريل عليه السلام** – و إذا " هي تتفاجىء مفاجأة عنيفة تنقل تصوراتنا نقلة بعيدة " [1] بعدها قوله تعالى : ﴿ **فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قالت " قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا** ﴾[2] إنها انتفاضة العذراء المذعورة فلقد فاجأها الرجل و هي في خلوتها مطمئنة فتلجأ إلى التقوى في نفسه : " إن كنت تقيا " و إن كنا نحن على علم بأنه الروح الأمين فهي لا تعلم إلا أنه رجل و هنا يتمثل الخيال لتلك الفتاة البريئة ذات التقاليد العائلية الصالحة و التي تربّت تربية دينية و كفلها زكريا بعد أن نذرت لله جنيناً و كانت هذه هي الهزة الأولى .

﴿ **قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا** ﴾ [3] فالملك خاطبها بأنني لست بشراً إنما أنا مللك بعثني الله إليك لأهب لكي ولداً زكياً أي طاهراً من الذنوب فيتمثل في قولها مقدار الفزع و الخجل مدافعة عن **عرضها**﴿ **قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا** ﴾ [4] أي أنها لم تفهم كيف يكون لي ولد و أنا لست ذات زوج و لا أنا ممن

---

[1] – التصوير الفني ، السيد قطب، ص 195–196.

[2] –سورة مريم ، الآية 18.

[3] –سورة مريم ، الآية 19.

[4]– سورة مريم ، الآية 20.

يفعل الفاحشة ﴿**قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا** ﴾[1] و هنا نجد نجد " فجوة من فجوات القصة ، فجوة فنية كبرى تترك للخيال يتصورها كما يهوى "[2] فالملك يخاطبها : هكذا الأمر كما تصفين من أنه لم يمسسك بشر ، و لم تكوني بغيّاً و لكن ربك قال : الأمر عليّ سهل و ليكون هذا الغلام علامة للناس تدل على قدرة الله تعالى ورحمة منا و بوالدته و بالناس و " يحتمل أن يكون قوله : ﴿ و كان أمراً مقضياً " كناية عن نفخ جبريل عليه السلام فيها " [3] و هذا ما نجده في قوله تعالى : ﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾

ورغم أن الخلاف كان قائماً حول ما يفهم من سياقات هذه القصة إلاّ أن " هذا السياق يدل على أن الذي أرسل إليها ملك من الملائكة ، و هو جبريل عليه السلام نفخ فيها أي في جيبها فنزلت النفخة إلى فرجها فإن سلكت فيه " [4] .

ثم تمضي القصة لتصور لنا هذه العذراء في موقف آخر أشد هولاً : ﴿ **فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا** ﴾ "[5] ذلك أن مريم لما حملت ، ضاقت به ذرعاً ، فتباعدت به عن الناس لأنها علمت أنهم سيتكلمون بحقها بل و ذكر واحد من السلف أنها " لمّا ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من عباد بني إسرائيل يقال له : يوسف بن يعقوب النجار و كان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك تعجبا شديداً ، و ذلك لما يعلم

[1] – سورة مريم ، الآية 21

[2] –السيد قطب التصوير الفني ، ص 197.

[3] –انظر : المرجع نفسه.

[4] –أنظر :صحيح قصص الأنبياء ، ابن كثير بقلم سليم هلالي ، مؤسسة غراس للنشر و التوزيع ،الكويت ، ط 1،2002 ،ص 463.

[5] –سورة مريم ، الآية 23.

من ديانتها و نزاهتها و مع ذلك يراها حبلى و ليس لها زوج فعرّض لها ذات يوم في الكلام فقال : يا مريم هل يكون زرع من غير بذر ؟ قالت : نعم ، إن الله خلق آدم من غير ذكر و لا أنثى فقال لها : فأخبريني خبرك ، فقالت ﴿**إن الله بشرني بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [1]. وهذه هي الهزة الثالثة فإن كانت في الموقف الأول واجهت الحصانة و التربية و الأخلاق الفاضلة بينها و بين نفسها ، فهي هنا و شيكة على أن تواجه المجتمع بفضيحة ، و لا أحد سيصدقها بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام ، مع أنها قد كانت عندهم من العابدات المجاورات في المسجد و من بيت النبوة و الديانة ، فحملت الهم بسبب ذلك و يظهر هذا في قولها : " يا ليتني مت قبل هذا و كنت نسياً منسيا " فقوة تعبيرها لأكبر دليل على اضطراب خواطرها و ألمها النفسي ما جعلها تتمنى لو أنها ماتت قبل هذا اليوم أو لم تخلق أصلاً .

و قوله : ﴿ **أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا** ﴾ [2] أي أن جبريل عليه السلام ناداها أن لا تحزني فقد جعل ربك تحتك نهراً " و هزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً " أي حركي جذع النخلة تساقط عليك رطباً غضا ﴿ **فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا** ﴾[3] أي فكلي من الرطب ، و اشربي من الماء و طيبي نفساً بالمولود ، و إن رأيت أحداً من الناس أو سألك عن أمرك فقولي له : إني أوجبت على نفسي لله سكوناً فلن أكلم اليوم أحداً من الناس و قيل أن السكوت كان تعبداً في شرعهم فمن صومهم ترك الكلام و الطعام.

[1] -سورة آل عمران، الآية 45،46.

[2] -سورة مريم ،الآية 24.

[3] - سورة مريم ، الآية 27.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ [1] فالآية الكريمة تصور لنا كيف أتت مريم قومها و هي تحمل مولدوها من المكان البعيد ، فلما رأوها كذلك قالوا لها: يا مريم لقد جئت أمرا عظيما منكرا و الفرية هي الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال و المقال ثم قالوا لها : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾[2] أي أخت الرجل الصالح هارون ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش و ما كانت أمك امرأة سوء تأتي البغاء و " قيل : شبهوها برجل فاجر في زمانهم اسمه هارون ، قاله سعيد ابن جير و قيل شبهوها بعابد من عباد زمانهم كانت تساميه في العبادة " [3] و من السياق القرآني يوحي قولهم بالسخرية و التهكم.

فلما ضاق الحال و امتنع المقال ، عظم التوكل على ذي الجلال و الإكرام " فأشارت إليه " أي خاطبوه و كلموه فإن الجواب لديه ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾[4] أي كيف تحيلينا في الجواب على صبي لا يعقل معنى الخطاب ، و هو أصلا رضيع في مهده و ما هذا منك إلاّ على سبيل الاستهزاء و التهكم بنا و لا تردين علينا قولا نطقياً ، و تحيلين الجواب على من كان في المهد صبياً و عندها كانت المعجزة قال : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [5] فكان أول كلام عيسى ابن مريم هو اعترافه لربه تعالى بالعبودية ، و أن الله ربه و ليس كما زعم الظالمون أنه ابن الله ، بل هو عبده و رسوله و ابن أمته و أن الله جعلني عظيم النفع و الخير حيثما وجدت ، و أوصاني

[1] - سورة مريم ، الآية 28.

[2] - سورة مريم ، الآية 29.

[3] -انظر ابن كثير، صحيح قصص الأنبياء، ص 467.

[4] -سورة مريم ، الآية 29.

[5] -سورة مريم ، الآيات 30-33.

بالمحافظة على الصلاة و إتيان الزكاة ما بقيت حياً و جعلني باراً بوالدتي ، و لم يجعلني متكبراً و لا شقياً ، عاصياً لربي أي أنني لست بفظ و لا غليظ ، و لا يصدر مني قول ولا فعل ينافي أمر الله و طاعته و السلامة و الأمان عليّ من الله يوم ولدت ، و يوم أموت ، و يوم أبعث حياً يوم القيامة و في هذه اللحظة نسمع لهجة التقرير ، و في أنسب فرصة للإقناع و الإقتناع :﴿ **ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [1] ذلك عيسى ابن مريم ، من غير شك ، بل هو قول الحق الذي شك فيه اليهود و النصارى ، وكان لله تعالى بل ولا يليق به أن يتخذ من عباده و خلقه ولداً ، سبحانه تنزه و تقدّس عن ذلك ، إذا قضى أمراً من الأمور و أراده ، صغيراً أو كبيراً لم يمتنع عليه ، و إنما يقول له كن ، فيكون كما شاءه و أراده ، و لقد برز الغرض الديني هنا ، و برزت مشاهد القصة و لكن مما لا شك فيه أن قوة إبراز العواطف والانفعالات هي الغالبة ، و أن هذا اللون هو الذي يطبعها ، و يغلب على الألوان الأخرى.

و بهذه الآيات و غيرها من كتاب العزيز الحكيم كنموذج على القصص القرآني ، التي جاءت لتسهم بدورها فيما يهدف إليه القرآن من التوجيه و الإرشاد ، و ذلك لما فيها من العظة و العبرة ، و القصص القرآني ليس عملا فنياً مستقلاً في موضوعه، و طريقة عرضه، كما هو الشأن في سائر القصة الفنية ، و التي تهدف إلى غرض فني مجرد ، بل القصة الفنية ، و التي تهدف إلى غرض فني مجرد ، بل القصة القرآنية كانت وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة في تحقيق هدفه الأصيل ، فمما لا ريب فيه أن القرآن الكريم هو كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، و القصة القرآنية من إحدى الوسائل المعتمدة عليها في إبلاغ هذه الدعوة و تثبيتها، و شأنها في ذلك شأن الصور القرآنية الأخرى و العجيب في هذا القصص أن التعبير القرآني جمع بين الغرض الديني و الغرض الفني معاً ، و جعل

[1] -سورة مريم ، الآيات 34-35.

من الجمال الفني وسيلة مقصودة للتأثير الوجداني فمما هو بديهي عند الإنسان و بني جنسه أن إدراك الجمال الفني ينبئ بحسن الاستعداد لتلقي التأثير الديني و لقد كان من مظاهر الإبداع القرآني في تصويره القصصي ، " ذلك التناسق الفني الذي يبدو في تنوع طريقة العرض ، و في تنوع طريقة المفاجأة التي ترسمها الصورة القصصية " [1] هذا من جهة و من جهة أخرى تلك الفجوات التي تبدو بين الصورة و الصورة ، لتفتح المجال للقارئ أو السامع بأن يملأها بخياله كيفما شاء و الإبداع القرآني يسمو أيضاً عندما يصور شخصياته القصصية "تصويراً ينّم عن كل دقيق و جليل في هذه الشخصيات و كأن العين تبصرها و النفس تحسها، و الإنسان يعيش معها أحداثها ووقائعها " [2] .

لقد كانت هذه لفتة متواضعة إلى جوهرة من جواهر القرآن الحسان (أحسن القصص) هذه التحفة التي أعطت للبشرية مثال يحتذي به في قدرة المولى عز وجل فارتوى من نبعه العلماء و الفقهاء و الساسة و الأدباء و النساء و الرجال ....الخ إنه النبع الذي جرى من بحر القرآن العظيم.

إن الجمال في تصوير قصة مريم عليها السلام بلغ ذروته و استوفى غايته في شد القلب و العقل فلقد كان النسق الجليل في سرد معجز و إيراد محكم للمعاني و الألفاظ و كثير من الصور التي أشركتنا في الأحداث فأدخلتنا حيز الزمان و المكان و جعلتنا نقف حضرة الشخصيات التي تستنطق التعابير المصورة و تكشف عن دواخلنا بلغة ثرية ، لأنها لغة القرآن ، و لأن ناظمها هو خالق الأكوان ، العالم بخبايا النفوس ، و مايجري بين جنبيها ، و المطلع على كل شيء المحيط بماضي و حاضر و مستقبل الوقائع و الأحداث هذا و قد ألفى التصوير في قصة مريم بغيته ، إذ انساب في ثناياها ، ولامست

[1] -انظر :الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، ص 99.

[2] – انظر: المرجع نفسه ، ص 100.

ريشته عناصرها فكان فضله عليها كفضل الماء على الخليفة ، إذ سكبت الأحداث فجرت في تسلسل و تلاحم و توالد ، دون تفكك و لا تبعثر .

و من المؤكد أن كل هذا الجمال و الفن في قصة مريم لا ينفي عنها صدقها كما لا يجردها من غايتها الخالصة التي لا تنفصل عن غاية القرآن العامة في التركيز على صلاح الحياة بكل جوانبها . و لما كان القرآن الكريم قمة الإعجاز القصصي ، حيث الإقناع العقلي و الإيحاء النفسي و الجمال الفني و مهما قلنا ، فلن نوفيها حقها لأنها أسمى و أعظم مما تحددها الألفاظ و لا حتى المجلدات .

خاتمة

إلى هنا، يكون هذا البحث قد استوفى –بعون الله–فصوله و مباحثه، بعد أن جلت من خلاله في رياض القرآن الفيحاء،ولقد استخلصت جملة من النتائج من خلال هذا البحث يمكن عرضها فيما يلي:

–الصورة الفنية في قصة مريم حملت قيماً عاطفية،ومعرفية فلم تكن مجرد زخرف لفظي بل ذات بعد جمالي.

–انسجام التصوير مع أحداث القصة وذلك برسم الأماكن الأزمنة ولأشخاص بدقة "مكانا شرقيا،جذع النخلة،أكلم اليوم،لقد جئت،يوم أبعث حيا،بشرا سويا،يكون لي غلام ،صبيا،أخت هارون....الخ"

– بناء الصورة يكون في الأساس على:

*التشبيه: مثل قوله تعالى :" فتمثل لها بشر سويا" مريم[17]

*الاستعارة: مثل قوله تعالى:" واشتعل الرأس شيبا"مريم[4] فصفة الاشتعال للنار

*الكناية: مثل قوله تعالى: "وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا" فكلمة رطبا هي لدلالة على أنه طري و شهي.

– المنهج الكامل للقصة القرآنية سهّل من مهمتها المتمثلة في التوجيه والإرشاد بالدرجة الأولى.

–لما كانت القصة القرآنية مدرسة للأخلاق،جاءت قصة مريم العذراء كدليل على قدرة المولى عز وجل وعلى عفافها و جميل خلقها و قوة إيمانها بالمولى عز وجل.

و أخيرا يمكنني القول أن المعنى الجمالي لا يمكن أن يتجسد كما هو في القرآن الكريم فهو المعجزة التي لا تفنى إلى أن يرث الله الأرض و من عليها.

و ختاما فإنني أتمنى أن يستفيد من هذا البحث كل من خاض ميدان الدراسات الأدبية و لو بقليل.

قائمة المصادر والمراجع

الـــقـــــــرآن الـــكـــريـــم

قائمة المصادر و المراجع

1-أمين بكري شيخ:البلاغة العربية في ثوبها الجديد،علم البيان،دار العلم للملايين،بيروت،ط2، 1984 م.

2-أبو عثمان عمر ابن بحر "الجاحظ" البيان و التبيين،عبد السلام هارون الخانجي، القاهرة،1967م،ج1.

3-أبو عثمان عمر ابن بحر" الجاحظ" الحيوان ،ج 3،دار الإحياء التراث العربي،بيروت-لبنان-.

4-ابن رشيق القيرواني:العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1، 1972م.

5-ابن كثير بقلم سليم هلالي:صحيح قصص الأنبياء،مؤسسة غراس للنشر و التوزيع،الكويت،ط1، 2002 .

6-ابن منظور:لسان العرب،المجلد 4،دار صادر،بيروت،ط1، 1997م.

7-البوطي محمد السعيد رمضان: من روائع القرآن الكريم،تأملات علمية و أدبية في كتاب الله، مؤسسة الرسالة،بيروت، 1996م .

8- البوطي محمد السعيد رمضان:من الفكر و القلب،فصوله في العلوم و الاجتماع و الأدب.

9- السيد قطب :نظرية التصوير الفني ،دار الشهاب،الجزائر، 1988م.

10-السيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن،دار الشروق.

11- الشيخ محمد مجد الدين،محمد بن يعقوب الفيروز آبادي،القاموس المحيط،ج 2،ط2، 1344ه، الطبعة الحسنية المصرية.

12-المعجم الوسيط، ج1،دار الدعوة،اسطنبول، 1889 م.

13-الخالدي صلاح عبد الفتاح،نظرية التصوير الفني عند السيد قطب،دار الشهاب،الجزائر، 1988م.

14-المصحف الميسر،مصحف المدينة النبوية ،مجمع خادم الحرمين الشريفين ،الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

15-جابر عصفور:الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي،القاهرة،دار الثقافة للطباعة و النشر، 1974 م.

16- عبد الكريم " الخطيب" ،القصص القرآني في منطوقه و مفهومه،دار الفكر العربي،القاهرة.

17-عبد عتيق،في النقد الأدبي، ط2، 1972م، دار النهضة.

18-عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز،تحقيق وتعليق أبو فهد محمود شاكر،مطبعة المدني،ط3، 1974م.

19-عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة،تعليق محمد عبد العزيز النجار،القاهرة،مطبعة محمد صبيح وأولاده،1977م .

20-عبد القاهر القط:الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر،دارالنهضة العربية،بيروت،لبنان.

21- محمد أبو الشوارب،أحمد المصري: قطوف بلاغية ،دار المطبوعات،الإسكندرية، مصر،ط1، 2006 م.

22-محمد الدالي:الوحدة الفنية في القصة القرآنية،مون،للطباعة و التجليد،ط1، 2001م.

23-محمد بدري عبد الجليل:المجاز وأثره في الدرس اللغوي،دار النهضة العربية،بيروت.

24-محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي،متن ألفية ابن مالك في النحو والصرف، مؤسسة الرسالة،ط1، 2002م .

25-محمد الصادق الرافعي:إعجاز القرآن و البلاغة النبوية،دار الكتاب العربي،بيروت.

26-محمد بن غانم الجهيني:الصورة الفنية في المفضليات ،ط1، 2004م ،ج1.

الرســـــــــــــــــائل الجامعـــــــية

1 العرابي لخضر:أغراض القصص القرآني عند السيد قطب،رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه، 2001م ،جامعة تلمسان.

2 بلحسيني نصيرة: الصورة الفنية في القصة القرآنية،مذكرة لنيل شهادة الماجيستير،2006م، جامعة تلمسان.

3 يحياوي زكية: الصورة الفنية في التجربة الرومانسية،مذكرة لنيل شهادة ماجيستير، 2011 م، جامعة تيزي وزو.

فهرس

فهـــــرس الموضوعات

شكر و تقدير

إهداء

مقدمة.....أ-ج

مدخل..... ص 5.

الفصل الأول :الصورة الفنية و دلالتها

أولا: مفهوم الصورة الفنية.....ص 14

أ) لغة.....ص 14

ب)اصطلاحا.....ص 15

ج) عند النقاد العرب القدامى.....ص15

د)عند النقاد و البلاغيين المحدثين.....ص18

ثانيا:خصائص الصورة الفنية و مظاهرها.....ص20

أـ التخييل الحسي.....ص 21

ب - التجسيم الفني.....ص 22

ج -التناسق الفني .....ص 24

ثالثا: الوجه النفسي للصورة الفنية .....ص 28

أ الوجه النفسي للتشبيه.....ص 28

ب -الوجه النفسي للكناية .....ص 31

ج ـــــ الوجه النفسي للاستعارة.....ص 34

د -الوجه النفسي لصورة الكلمة.....ص 38

رابعا:أنواع التصوير الفني.....ص 40

خامسا:أهداف لتصوير الفني.....ص 58

سادسا:أهمية التصوير الفني .....ص 60

الفصل الثاني: ملامح التصوير الفني لقصة مريم.....ص65

خاتمة.....ص 74

قائمة المصادر و المراجع.....ص 77

فهرس